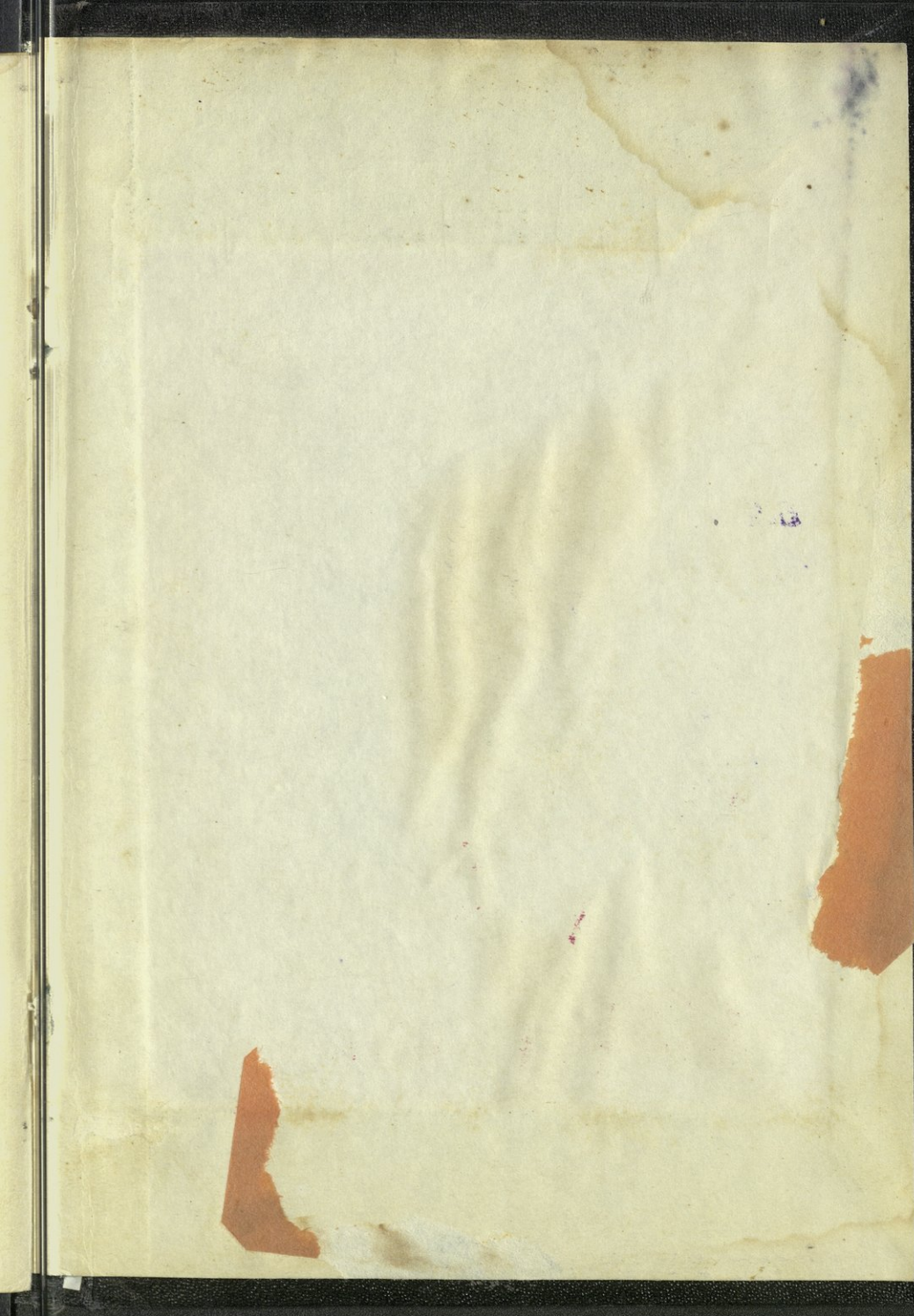


القرى

الفلسفة السياسية للإسلام



297.617
B 16 f A

~~1 APR 67~~

~~MR 26 58~~

~~MR 26 58~~

MR 26 58

~~Oct 1 1958~~

~~DEC 27 59~~

DEC 27 59

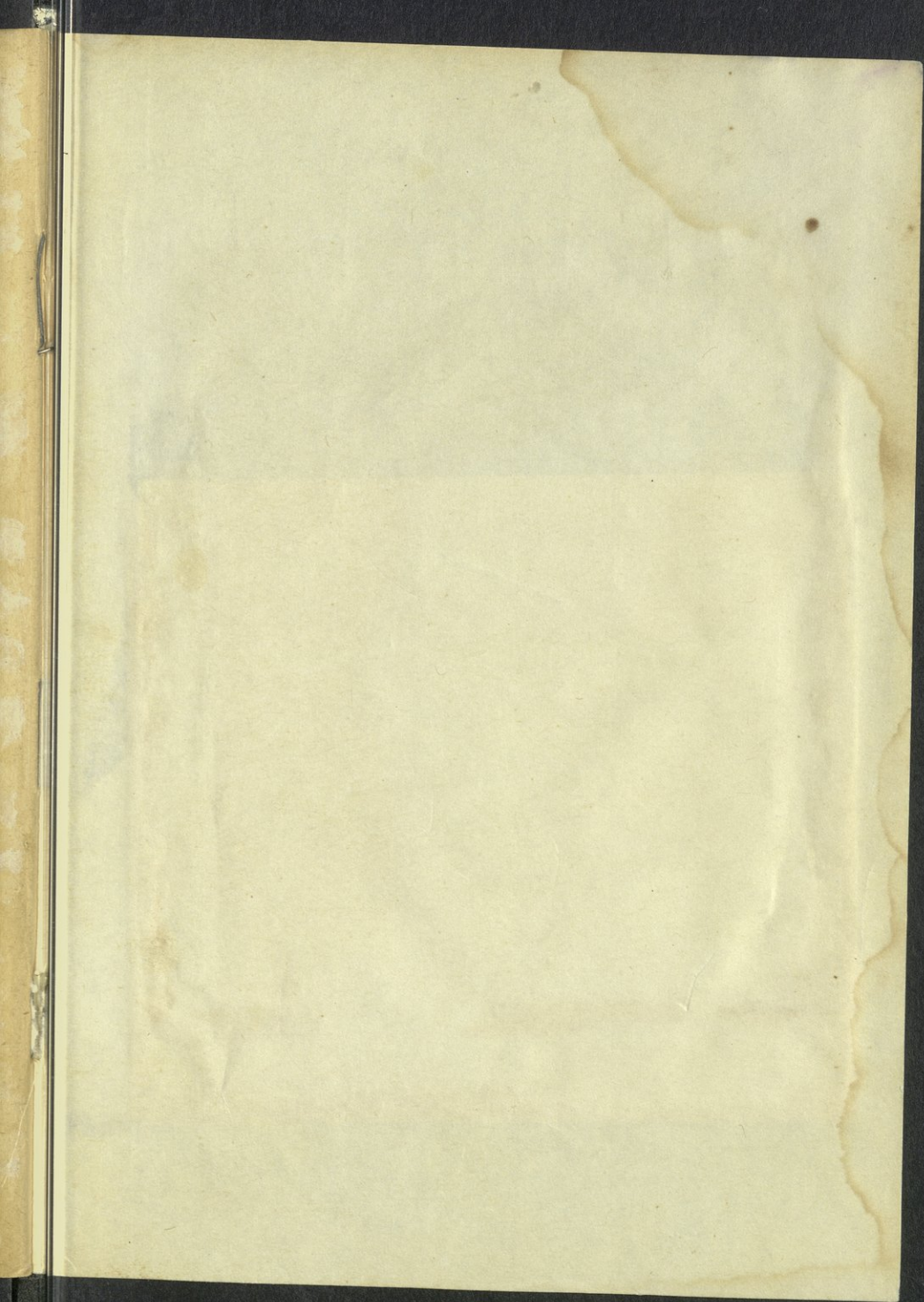
~~IN 28 60~~

~~IN 28 60~~

J. LIB.
11 AUG 1979

~~JAFET LIB.~~ JAFET LIB.
28 APR 1980
17 MAR 1988

29 JUN 64



292.617
B168A
C.1

الدكتور عبد العزيز أبو العطا البكري الأنصاري



الفلسفة السيكولوجية للإسلام

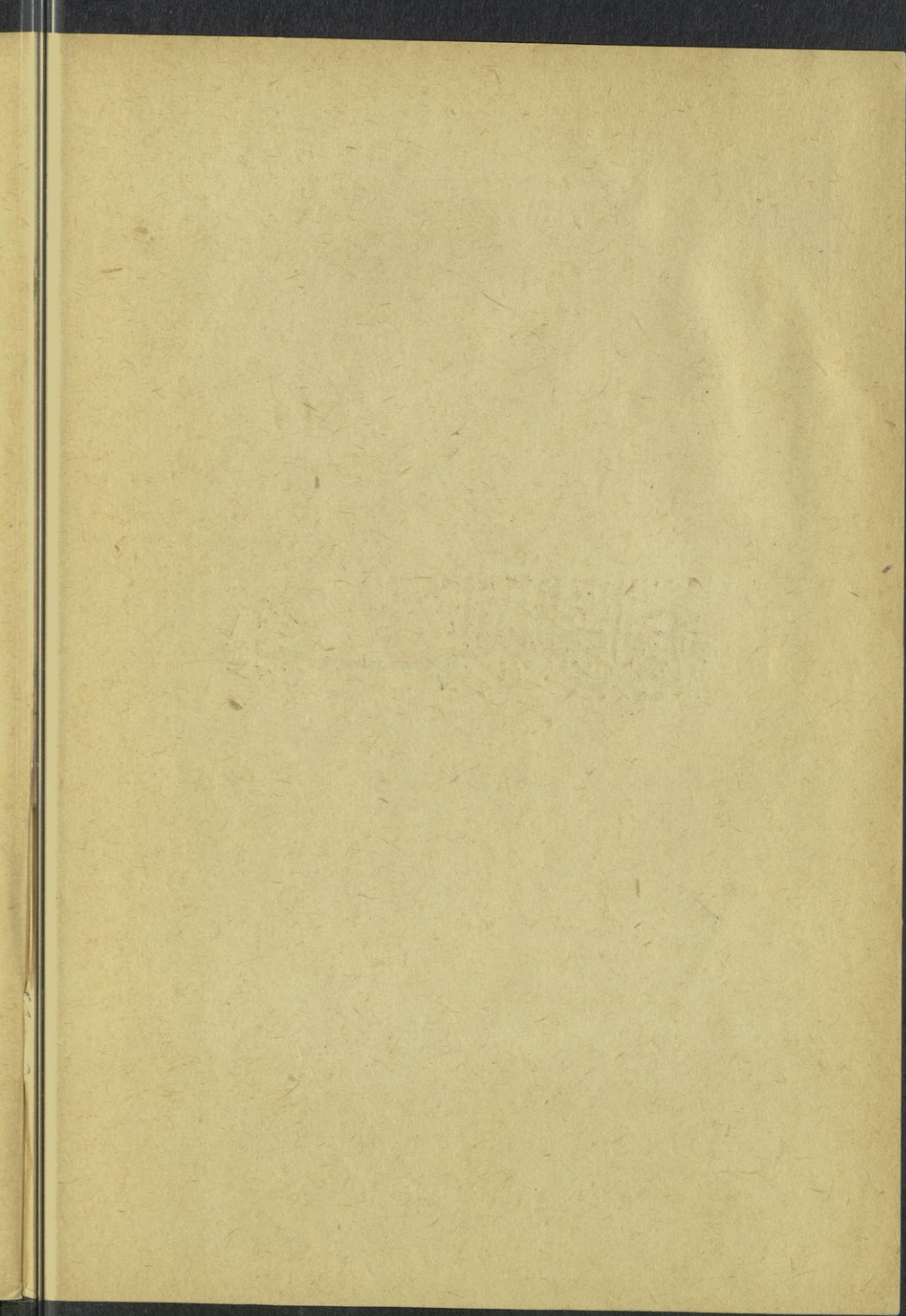
بمقولة

الناشر
مكتبة الخانجي

١٩٤٧
ص ٨٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





مولاي صاحب الجلالة !!

يشرفني يا مولاي !! أن أرفع لجلالتكم ؛ الخطوط الرئيسية
للأهداف السياسية للإسلام ، وما ابتكرته هذه السياسة من وسائل
عملية ونظرية ، لبعث الدولة الإسلامية .

وما شجعتني يا مولاي ! على أن أقدم هذا لجلالتكم ؛ إلا اعتقادي :
أن هذه الأهداف هي رسالتكم ، كما أن تلك الوسائل لتحقيقها
هي سياستكم .

أبقاك الله يا مولاي !! ملاك الوادي النيل ، وقائدا للعروبة ،
وزعيما للإسلام .

١٨ المحرم سنة ١٣٦٧

أول ديسمبر سنة ١٩٤٧

صادق الولام

عبد الدائم أبو العطا البقري الأنصاري

عناصر الفلسفة السياسية للإسلام

صفحة

١١

١ — مقدمة

ب — الفلسفة الاقتصادية

- ١ — النظرية الماركسية الاقتصادية ١٣
٢ — النظرية الداروينية الطبيعية ١٣
٣ — نظرية إنسانية ونظرية طبيعية والموازنة بينهما ١٤
٤ — التفكير الإنساني كمال ١٤
٥ — النظرية الإسلامية طبيعية أولاً وإنسانية ثانياً ١٥
٦ — القوت سلاح طبيعي ١٦
٧ — القانون الطبيعي هو القانون الخالد ١٦
٨ — النظام الاقتصادي الإسلامي : ١٧
أ — إعانات واجبة سنوياً
ب — إعانات من المستحسن عملها
ج — الطبقات التي يجب أن تقدم لها المعونة
د — القسرية أساس هذا النظام الاقتصادي
٩ — الهدف الفلسفي لسياسة الإسلام الاقتصادية ١٩

ج — الفلسفة الاجتماعية

- ١٠ — الحياة الحرة حق لكل فرد ٢١
١١ — القرن السابع الميلادي قرن الطبقات ٢١
١٢ — الاستعباد غريزة في السيد ، والعبودية طبيعة في المسود ٢١
١٣ — كيف حارب الإسلام الرق ؟ ٢٣

صفحة

- ١٤ — الوازع الديني والوازع الحكومي
 ١٥ — اضرب ابن الأكرمين
 ١٦ — الناس سواسية كأشنان المشط
 « الحريات جميعها مكفولة لكل حتى »
 ١٧ — التأمين الاجتماعي لجميع أفراد الشعب
 ١٨ — الهدف الفلسفي الاجتماعي للإسلام !

٥ — الفلسفة التشريعية

- ١٩ — بديهيات فلسفة — منبع التشريع
 ٢٠ — أيهما يجب أن يكون منبعاً للتشريع؟ هل التفكير الإنساني العام
 أو التفكير الوطني الخاص ؟
 ٢١ — الحق واحد ومعنى ولكن يختلف باختلاف الشعوب و ...
 ٢٢ — مكان القرآن من التشريع الإسلامي
 ٢٣ — مصادر التشريع في الإسلام:
 ١ — ماهو سر تأخر المسلمين؟
 ب — الاجتهاد التشريعي في الإسلام وخصائصه
 ج — التشريع الاسلامي خاضع للبيئة
 ٢٤ — الحرية التشريعية في نظر الإسلام — خصائص التشريع الإسلامي
 ٢٥ — الهدف الفلسفي للتشريع الإسلامي

٦ — الفلسفة الحكومية

- ٢٦ — الحاكم الصالح وكيف ينتخب ؟
 ٢٧ — صورة صادقة لاختيار الحاكم الاسلامي « كيف انتخب الخلفاء ؟ »
 ٢٨ — الديمقراطية الحقبة بين الإسلام والنظم الدولية الحديثة
 ٢٩ — نوع الحكم الإسلامي الصادق وعناصره
 ٣٠ — من لهم حق اختيار الحاكم الإسلامي ؟

صفحة

٤٤	٣١ — انتخاب الحاكم الإسلامي على درجتين
٤٤	٣٢ — جزاء المخالف للأغلبية
٤٤	٣٣ — ما يشترط مراعاته عند اختيار الحاكم
٤٥	٣٤ — مدى ما يتمتع به الحاكم الإسلامي من سلطة !
٤٦	٣٥ — موقف الحاكم الإسلامي من الشورى
٤٧	٣٦ — الدستور الإسلامي الذي يجب أن يخضع له الحاكم
٤٨	٣٧ — بعض الأهداف التي يرمى إليها الإسلام من عدم تجديد الحاكم
٤٨	٣٨ — هل للحاكم الإسلامي أن يشير بخلفه ؟
٤٩	٣٩ — كيف يختار الحاكم أعوانه ؟
٥٠	٤٠ — الاجر المادى للحاكم العام ولعالمه
٥١	٤١ — الناس على دين زعمائهم وحكامهم
٥٣	٤٢ — ما هو الهدف الفلسفى الذى يرمى إليه حكم الإسلام ؟

و — الفلسفة الحربية

٥٤	٤٣ — الانسان مدنى بطبعه
٥٤	٤٤ — هل الحرب والثورات مشروعة ؟
٥٥	٤٥ — الثورة والقانون الطبيعى
٥٦	٤٦ — هل الثورة حدث طبيعى منطقى ؟
٥٦	٤٧ — أهداف الثورة
٥٧	٤٨ — عناصر الفوز والغلب فى الحرب
٥٧	٤٩ — هدف الثورة المادى
٥٨	٥٠ — هدف الثورة المعنوى
٥٨	٥١ — أهداف الثورات التاريخية
٥٩	٥٢ — وضوح الهدف الثورى
٦٠	٥٣ — الايمان بالهدف الثورى كعنصر وحيد للفوز
٦٠	٥٤ — الموت والحياة فى نظر الثورة

صفحة

- ٥٥ — أثر القيادة في استلاب النصر
٥٦ — القدائية بين القائد وجنوده
٥٧ — جنود الاسلام يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
٥٨ — الدين وحدة لا تتجزأ ولذا فهو يتمشى مع ضرورات الحروب
٥٩ أهداف الاسلام من الحروب: النظام والطاعة والإخاء، ولذا شرع: ٦٣
١ — الصلاة
ب — صلاة الجمعة ج — الحج
د — صيام رمضان ه — الزكاة
٦٠ — المحارب الاسلامي مثل أعلى للانسانية
٦١ — الجزء العنوي والمادي للمحارب الاسلامي
٦٢ — المسلمون الفاتحون يعيشون للسلم وللحرب معاً
٦٣ — من أهداف الاسلام في الحرب تحقيق: الحرية والعدل والمساواة مع: ٦٦
١ — مخالفيه في الدين من أهل الكتاب
ب — » » » ممن لا دين لهم
٦٨ — شعار المسلمين: السيف للحرب والعلم للسلم
٦٩ — واجب عيني على كل مسلم أن يدافع بكل ما يملك عن أي جزء
من بلاد الاسلام
٧٠ — أسباب الحروب الاسلامية:
١ — حرب لحماية المجتمع الإسلامي
ب — حرب لحماية الدين الإسلامي
ج — حرب لنشر الدين الإسلامي
٦٧ — المعاهدات بين الدول الاسلامية وغيرها نوعان:
١ — معاهدات حين الحرب
ب — معاهدات بعد انتهاء الحرب
٦٨ — هل صلتنا الآن بالدول غير الاسلامية ورعاياهم صلة حرب أو ٧٣
صلة سلام وأمان؟؟

صفحة

- ٦٩ — المعاهدات الحالية في نظر الاسلام
٧٠ — ملتزمات المسلمين حالة الحرب
٧١ — كل شيء جائز بل كل ما يمكن عمله واجب حالة الحرب
١ — القتل اغتيالاً
ب — التهديم والتخريب
ج — إتلاف الأشجار والزروع وحرقيها — قطع الطريق
هـ — فرق تسد
و — التعذيب بالعطش ومنع الماء — السرقة
٧٢ — محمد رسول الله ومؤسس دولة .
٧٣ — أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .
٧٤ — ألا من معذرة إذا كنا مغلوبين على أمرنا ؟

ر — فلسفة القوة في الاسلام

- ٧٥ — الهدف الفلسفي لدولة الاسلام
٧٦ — الحق واحد كمعنى ولكنه نوعان :
١ الحق الطبيعي
ب الحق الانساني
٧٧ — النصر دائماً وأبداً للقوة لا للحق
٧٨ — الاسلام : هو القوة والقوة هي الاسلام
٧٩ — هل الدين والقوة مجتمعان ؟؟
٨٠ — الاسلام : دولة القوة والسلام

مقدمة سريعة ...

أعتقد أنك لو حاولت بعد قراءة هذا البحث ، بحث « الفلسفة السياسية للإسلام » فاستخلصت منه نتائجه ، ثم وضعتها تحت عناوينها العامة ، كما وضعت أمامها أرقامها الخاصة ، لوجدت نفسك أمام خطوط رئيسية لقانون كامل ؛ ولدولة حديثة .

قانون ؛ هو مثل أعلى في الحكم وفي السياسة ، ولدولة ؛ هي خليفة بأن تكون دولة الطبيعة الخالدة ، التي تسوس النوع الانساني بأهدافه وأمانيه ، مهما اختلفت الأقطار ، وتلاحقت السنين .

وأعتقد كذلك أنك ستظن كما سيظن كثير من المسلمين ومن غير المسلمين ، من سياسة الأمم وأساطين الدول ، أن هذه المثل العليا في الحكم ، وتلك النظريات السياسية في الساطان ، هي من وضع السياسي الحديث ، ومن خلق الانسان المثالي .

هذا إذا استخلصت من ذلك البحث نتائجه فقط ، أما إذا قرأته باستيعاب ، وربطت نتائجه بمقدماته ، فإنك ستتماكدا كما تأكدت : أن هذه الدولة هي دولة الاسلام حقاً ، وأن هذا التفكير هو تفكير محمد عليه السلام الذي لم ينطق عن الهوى ، وأن هذا النظام السياسي هو الذي بعث الدولة العربية والإمبراطورية الاسلامية ، وأننا إذا أنكرنا هذا النظام على الإسلام لسموه ومثاليته ؛ فإنما لأن الإسلام الحق ينكرنا كذلك !!

كما ستتأكد أيضا ، أن المسلمين سيظلون هكذا : منطلقهم غباء ،
ودولتهم هباء ، إلى أن يؤمنوا بأن طريق بعثهم ، هو أن يتعرفوا
الفلسفة السياسية للإسلامهم ، فتستجيب لأهدافها نمضات قلوبهم ،
وبأن طريق تحريرهم ، هو أن يصارعوا بالوسائل العملية لإنهاض
دولتهم فيريقوا في سبيلها دماءهم .

وبأنه هنا .. وهنا فقط ... يمكن أن يرجع الاسلام كما كان ؛
إمبراطورية تصفق على جنباتها أمواج المحيطين ؛ الهادى شرقا
والاطلنطى غربا .

كما ستتأكد أكثر وأكثر ... بأنه بدون تحقيق هذه الأهداف
أهداف « الفلسفة السياسية للإسلام » وبغير استعمال تلك الوسائل
وسائل ثورة الاسلام ، فلن يكون هناك للإسلام دولة قط ، ولن
تتوفر للعرب شوكة أبداً .

عبد الدايم أبو العطا البقرى الأنصارى
دكتور فى الفلسفة

فلسفة الاسلام الاقتصادية

١ - النظرية الماركسية الاقتصادية

إذا كان كارل ماركس « Karl Marx » قد بشر بدينه الجديد في القرن التاسع عشر، وأذن في الناس بتعاليمه الإنسانية، ونفخ في بوق الحرية والمساواة مناديا : إن الناس يجب أن يكونوا متساوين فيما يملكون وفيما يأكلون ويشربون، حكومة ترعى الجميع، وشعب متساو في كل شيء، فحملت لواءه روسيا الشيوعية وهي تحاول ما استطاعت إلى ذلك سبيلا نشره وتعميمه بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة .

وقد عدلت في هذه النظرية الماركسية : الاشتراكية النازية، والاشتراكية الفاشستية، والاشتراكية الانجليزية، وخلقت كل منها لنفسها نظرية اقتصادية جديدة، بعثت فيها الحياة والنشاط .

٢ - النظرية الداروينية الطبيعية

أقول - إذا كان كارل ماركس قد نادى بنظرية الاقتصادية هذه، فقد سبقه دارون « Darwin » وأذاع على الناس نظريته الطبيعية التي تقوم على : تنازع البقاء، والبقاء للأصلح . فالقوى بطيعة يسود الضعيف، وصاحب الموهبة، حتما أصح من الغر الأبله، أي أن القادر على استثمار المال وجمعه، يجب أن تكون له الهيمنة على كل ما قدر عليه

فنظرية رأس المال ، والحرص على تنميته ، قد وجدت مع الانسان يوم أن فطر في هذا الوجود ، وهى التى كان لها الفضل الأكبر ، إن لم يكن الوحيد في تقدم العالم وتمدن الانسانية .

٣ — نظرية انسانية ونظرية طبيعية

هاتان نظريتان — ولو أن دارون لم يصرح بهذا فهو رجل طبيعى — على طرفي تقيض :

الأولى : نظرية اقتصادية إنسانية ، لو أمكن تحقيقها
والثانية : نظرية طبيعية ، وأنى للإنسان وهو أقوى قوى العالم أن يناوئ الطبيعة : طبائع النفوس ، وجبلات البشرية
لهذا كان العالم الانسانى في كل أطواره معبرا أحسن تعبير عن نظرية دارون فضلا عن عالم الحيوان والجماد والنبات .

٤ — التفكير الانسانى كمالى

نعم فالحياة ليست بخيال كلها مبادئ ونظريات روحية وإنسانية ، وإنما الحياة مادة ، فلتقم على المادة كعنصر أساسى ، فالجائع أيا كان نوعه ، إنما يريد أولا وقبل كل شئ ، أن يوفر لنفسه القوت الضرورى ، وهو عندما يحالده ليحصل على هذا القوت الضرورى ينسى الكمالى ، بل هو لا يمكن أن يفكر فى الكاليات ، وما التفكير الإنسانى إلا نوع من الكاليات لأنه :

١ — لو كان التفكير العقلى ضروريا لوجد مع الإنسان وقت

ولادته ، مقارنة التفكير المادى « مع سعة فى التعبير ، فالطفل يترك بطن أمه ويداه تبحث عن حلبة الثدي ليرتشف الغذاء .

ب — وهل يمكن للجائع أن يفكر ؟ وما التفكير الا أثر من آثار المخ ، وما المخ إلا قطعة من الجسم ، والجسم خاضع للمادة خضوعا تاما ، فإذا لم ينل غذاءه فلن يجد من نفسه القوة على أن يفكر ، وأقصد بالجائع هذا الذى يبحث عن القوت الضرورى فلا يجده ، وليس ذلك الذى يجوع ليصح جسمه ، ولا ذاك الذى يطلب جسمه من التخمة بالجوع .

٥ — النظرية الاجتماعية الطبيعية أولا وإنسانية ثانيا

لهذه العناصر التى سبقت ، سار الاسلام سيرة وسطى مجدية وثاقفة ، حافظ على رأس المال ، وحض على إيمائه ، فهو الذى يحفز المواهب لتخترع ، وهو الذى يخلق التنافس بين الأفراد والجماعات ، وهو الذى الطبيعى لكل يجد فى هذا الكون ، وهو قبل كل شئ ، عصب الحياة وأس العمران

وفى نفس الوقت عرف أن فى الحياة صاحب العاهة الذى حرمة الطبيعة من المواهب المادية فليس بقادر على أن يعمل ، وجردته من المواهب الفكرية فلم يجد من نفسه القدرة على أن يفكر ويخترع ، وليس هو الجانى على نفسه فقد زودته الطبيعة بسلاح ليس على شاكلة سلاح الآخرين .

هذا الذى حرمة الطبيعة من سلاح الحياة ، يجب عليها أن تصلح

خطأها معه فترعاه بشكل آخر، أو ترعاه الانسانية بمعنى أدق، وإلا
انقلب ضدها وبالا، ونجرباً هداماً.

٦ - القوت - طرح طبيعي

لأن الجائع كما تقدم يريد الحياة الضرورية، يريد اللقمة، واللقمة
سلاح طبيعي، وقانون يبرر كل عمل وإن كان جريمة، ويجيز كل شيء
في الحياة وإن كان إثماً كبيراً، فصاحب القوت ما تعدى، وكل شيء
رخيص بجانب اللقمة التي تسد الرق، وتبقى على النفس الأخير،
وكل قانون سماوى أو وضعى يقول بغير هذا، إنما يناقض نفسه
بنفسه، إنما يحكم على نفسه بالتعطيل والإهمال، إنما يجب أن
يوضع في سلة المهملات.

٧ - القانون الطبيعي هو القانون الخالد

عرف الإسلام هذه المبادئ، وما الإسلام إلا قانون السماء الملهمة،
وتشريع الطبيعة الخالدة، لم يلد البعث ولا التفكير، فهو قانون ضرورى،
استلهمته الضرورة البحتة، فوجد في الحياة الإنسانية لقيادة المجموع،
المجموع الإنسانى الفاسد « في ذلك الوقت » سيد ومسود، عبید
وأسياد، رموس قبائل تتحكم في الأفراد، جماعات متحاربة متناكرة،
وقبائل ناهبة سالبة غازية، تقاليد وعادات فاسدة، اليهود أصحاب
رموس الأموال، والعرب في فقر مدقع، يتدون بناتهم خشية إملاق
أو غار، ويسفحون عليها التراب ولو عفرت الطفلة المسكينة يديها

لحام، كما حصل لعمر بن الخطاب الخليفة الثاني محمد عليه السلام قبل أن يسلم !!

٨ — النظام الرقنصارى الإسلامى

جاء الإسلام والحياة العربية كما رأيت، فتم على الغنى مساعدة الفقير، وأوجب على القوى أن يأخذ بيد الضعيف، فشرع النظام الآتى :

١ — إعانات واجبة ومحم على الحاكم الإسلامى الإشراف على تنفيذها ولو بالقوة وهى :

١ — الزكاة : وهى جزء نسبي يؤخذ كل سنة من :

أ — ملك مالا أو تجارة قومت بمائتى درهم من الفضة «تساوى

٥٣٠ قرشاً مصرىاً» أو عشرين مثقالاً من الذهب «تساوى ١١٨٧٥

قرشاً مصرىاً» ، فعلى مالك هذين المقدارين فى هذه الحالة أن يدفع

كل سنة كاملة ٢٥ ٪ لمستحقى الزكاة وسيأتى بيانهم .

ب — وكذلك من ملك النصاب الكامل من الحيوانات ، فعليه

أن ينزل منها كل سنة كاملة عن ٢٥ ٪ من مجموعها تقريباً .

ج — وكذلك من ملك خمسة أراذب من الجبوب فعليه أن

يتنازل منها عما يساوى ٥ ٪ إلى ١٠ ٪ منها .

وهذه المقادير السابقة هى تقريبية وليست بمحدودة دائماً فهى

تختلف قلة وكثرة باختلاف الأنواع والأحوال .

وفي القانون الإسلامى شروح كثيرة مستوعبة لهذه الأنصبة ومقاديرها بالتفصيل الدقيق فليرجع إليها هناك فى مظانها .

٢ — ما يجب أن يدفعه الشخص تكفيراً لبعض الآثام التى فعلها ، مثل : الإفطار فى رمضان عمداً ، ومجاعة المرأة فيه أو فى الحج ، وعند عدم القيام ببعض الواجبات .

٣ — زكاة الفطر وهى واجبة كل سنة على كل فرد صغيراً أو كبيراً ، عنده قوت يوم وليلة ، ويخرجها عن الصغير من تجب عليه نفقته ومقدارها صاع «قدحان وربيع» .

٤ — ما تدفعه الحكومة إلى الشعب ، وهى جزء لا يقل عن الخمس بأى حال مما يأخذه المسلمون من غير المسلمين ، سواء أكان غنيمته أم فيئاً ، أم جزية ، أم ضريبة تجارة ، حرباً أم سلباً .
ب — إعانات يستحسن عملها .

وهذه صدقات فردية لم يقيد بها الشارع بزمان ولا بسبب ، وقد تصل فى بعض الأحيان إلى التنازل للمحتاجين عن كل ما يملكه الشخص أو عن كل ما قدر عليه ، « وهذه هى الزكاة الحقيقية عند أهل النفوس العالية » (١)

وتوجد أسباب كثيرة نظمها الشارع الإسلامى للهبات وللتبرعات التى جعل الثواب الأخرى فى مقابلها .

ح — أما الفئة المحتاجة من الشعب التى يجب أن تدفع لها هذه الاعانات فهى :

(١) الفقير الذى لا يجد ما يقيته

(١) الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين — باب الزكاة

- (٣) المسكين الذى يجد ما يقيته ولكن لا يكفيه
- (٣) العمال الذين يحصلون الصدقات ويقومون عليها
- (٤) المكاتبون من العبيد مساعدة لتحريرهم
- (٥) المدينون وفاء لديونهم
- (٦) المتطوعون بالجهاد فى سبيل الله علماً أو حرباً أو سلماً
- (٧) المسافرين فى الطريق إن احتاج
- (٨) المؤلفة قلوبهم وهم الذين أسلموا حديثاً

٥ - القسرية أساس لكل نظام اقتصادى

وقد سار الإسلام على تنفيذ هذه القوانين بكل دقة ونظام ، فهى مبنية ومشروحة فى القانون الاقتصادى الإسلامى ، والحاكم المسلم يجب عليه تنفيذ هذه القوانين وأخذ الإعانات الواجبة قسراً إن امتنع من وجبت عليه ، بل يجب عليه قتاله إن لم يمكنه تحصيلها طواعية ، حتى أن أبابكر قاتل العرب جميعاً ، وتعرض لحرب هائلة أيدت فيها ألوف من أرواح العرب والمسلمين ، عندما امتنعوا عن دفع الزكاة للفقير المحتاج ، قائلاً قولته المشهورة : « والله لو منعونى عقاب بعير لقاتلتهم عليه » .

٩ - الهدف الفلسفى لسياسة الإسلام الاقتصادية

كما تقدم ترى أن الدين الإسلامى ، كما كان ثورة اقتصادية هائلة فى القرن السابع الميلادى ، فإنه لا يزال نظاماً اقتصادياً يصلح أن يكون أساساً للاقتصاديات القرن العشرين ، والاقتصاديات عنصر هام من

عناصر سياسة الدولة الحديثة ، إن لم يكن هو العنصر الوحيد الذى يخلقها ، ويبعث فيها القوة ، ويضفى عليها ثوب الحياة .
نعم مما تقدم ترى أيضاً أن الإسلام :

١ — عرف الطبيعة البشرية فسايرها

ب — عرف الطبيعة الإنسانية الاجتماعية فكان عاملاً فعالاً
فى تنظيمها

ح — عرف طبائع الفرد فرعاها ولم يعاندها

و — عرف طبائع المجتمع فأخضعها لصالح الفرد

نعم شرع كل هذا ورعى تنفيذه بالقوة ، لأنه عرف أن المجتمع
الصالح وليد الفرد الصالح كذلك .

فلسفة الإسلام الاجتماعية

١٠ — الحياة الحرة من سكل فرد

خلق الناس متساوين في كل شيء ، في الجسم وفي وسائل المعرفة ، فلكل فرد الحق في أن يكون له في الحياة مثل ما للآخرين ، وإذا كانت الطبيعة قد زودت هذا بجسم أقوى ، أو بعقل أنضج ، أو بموهبة نادرة ، فلا ذنب للفرد في ذلك حتى يجازى بتقييد حريته بقدر ما يوسع في حرية الآخرين ، فالتة خلق الناس أحراراً فلن يستعبد هم إنسان (١) .

١١ — الفرد السابع الميلادي قرره الطبقات

ولكن جاء القرن السابع الميلادي فإذا به يسمى قرن الطبقات ، فهناك السيد والمسود ، هناك العبيد والأسياد ، قبائل سادة وأخرى مسودة ، تفاخر بالأنساب ، وتناحر بالألقاب والأجداد ، جماعات سائدة وأخرى منبوذة ، أشبه بمنبوذى الهند سواء بسواء .

١٢ — الاستعباد غريزة في السيمر والعبودية طبيعة في المسود

نعم هناك نظام للعبودية متغلغل في النفوس ، جرى في الطبائع مجرى الدم في الشرايين ، هو نظام في ذلك الوقت عالمي ، فهو بين الأمة العربية مشروع مشروعيته في الامبراطورية الرومانية .

(١) جان جاك روسو وعمر بن الخطاب

فماذا يفعل الدين الاسلامي الجديد، ليعالج هذا النظام الشاذ، الذي توارثه هذا الجيل من أجيال تمتد في القدم من منشأ الخليقة إلى الآن ، وقد ولد مع طبائع النفوس النزاعة إلى الغلب والسيادة ؟ هل يقره كما هو حتى لا يتعرض لحرب عوان عليه ، وهو وليد يريد الحياة والنمو ، فيبيد نفسه والحرية التي جاء يعلنها بين الناس ؟؟ أو يلغيه « بجرة قلم » فلا يجدي سماعاً ولا مطيعاً ، حيث أن الاستعباد أضحي غريزة في السيد ، كما أصبحت العبودية طبعاً في المسود ؟؟ لا... لن يسير الإسلام السيرة الأولى ، لأنه الدين الذي يحمل علم المساواة ، حيث خلق الناس كذلك رب هذا الدين ، ولو أراد خلقهم غير متساوين ، لخلقهم مختلفين في الأعضاء بقدر ما يختلفون في المذاهب والأفكار .

ولن ينهج المنهج الثاني ، فهو الخبير بطبائع النفوس ، وغرائز الإنسانية ، والعلم بقيادة الجماعات ، فلن يأمر إلا إذا اعتقد أنه مطاع ، ولن يبذر الحب إلا إذا وثق من الحصاد ، وإلا كان ساعياً إلى حثفه بظلفه ، وملغياً نفسه بنفسه .

إذا فليختط طريقاً وسطاً ، طريقاً تسلكه الإنسانية من البداية حتى إذا رشدت واستقرت تعاليم الإسلام في النفوس ورسخت روح الإسلام في الضمائر ، وصل العالم الإنساني إلى نهاية الطريق ، وهم أحرار متساوون ، « لافضل لسيدهم على مسودهم إلا بالتقوى » ، ويصبح أكرمهم عند الله أتقاهم .

١٣ — كيف حارب الإسلام الروم؟

- لهذا شرع نظاما للتحرير جعل العبودية كلا شيء ، فقد :
- ١ — ساوى بين السيد والمسود فى كثير من الأشياء « فإخوانكم خولكم » كما قال محمد عليه السلام .
 - ٢ — أوجب تحرير العبد تكفيرا لكثير من الآثام
 - ٣ — شرع نظاما للتحرير ، وهو يتم : بدفع نقود من العبد للسيد ، أو بفعل شيء إلى السيد ، أو بالتقرب إلى الله فى الدنيا وفى الآخرة .
 - ٤ — جعل من الواجبات على الشعب ، دفع مال للعبد المكاتب لإكمال تحريره كما تقدم فى باب الإعانات .
 - ٥ — حض الأحرار على الزواج بالإماء ، وبمجرد ولادتهن يصيرون أحراراً ، وكثير من أمثال هذا .

١٤ — الوازع الدينى والوازع السلطانى

وأباد كذلك التفاخر بالأنساب والألقاب ، حيث كان لها أثر سيء كبير فى التفرقة بين قبائل العرب ، حيث يريد كل قبيل أن يكون له الفخر والعلب قائلا : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وهذه الإبادة أثر من آثار الوازع الدينى ، بخلاف الوازع السياسى والحكومى فإنه يعمل على إحياء العصية « إذ لا حياة للنظام الملكى إلا بها (١) »

(١) ابن خلدون

١٥ — اضرب ابنه الأكرم

وأيضاً ساوى بين العرب من قريش وبين القبائل الأخرى العربية التي دخلت في الإسلام وبين الأعاجم كذلك كما أنه قرر أن ليس هناك شعب ممتاز أو عنصر مختار «إذ لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» (١) فهذا عمرو بن العاص ، وكان أبوه والياً على مصر حينئذ ، يسابق بفرسه قبطياً فيسبقه القبطي ، فيضربه ابن عمرو بالسوط قائلاً: أتسبقني وأنا ابن الأكرمين ؟ فيسمى الخبر إلى عمر بن الخطاب ، حاكم بلاد المسلمين وخليفتهم ، فيأمر عمرو بن العاص بإحضار ابنه مع القبطي في موسم الحج .

وهناك في مكة وأمام المسلمين عامة ، يعطى عمر نفس السوط إلى القبطي قائلاً : « اضرب ابن الأكرمين » وما زال يضربه حتى اشتفى منه .

١٦ — الناس سواسية كما سواه المسطح

أعلن الإسلام أن الحريات جميعاً مكفولة لكل حي ، فقد ساوى بين المسلم والذي الذي استؤمن « وهو صاحب الكتاب الذي نزل على حكم المسلمين » .

كما ساوى بين الناس جميعاً : بين الغني والفقير ، بين الأمير والصعلوك ، فهذا جبلة بن الأيهم ملك غسان بعد أن أسلم ، وهو يطوف بالكعبة حين الحج ، وطىء فزارى فضل إزاره فانحل ، فرفع جبلة يده

(١) حديث محمد عليه السلام

وهشم أنف الفزاري ، فشكاه إلى عمر الخليفة ، فأراد عمر أن يهشم أنف جبلة تبعاً للقانون الإسلامي « ولكم في القصاص حياة » فقال جبلة كيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك ؟ فأجابه عمر :

« إن الاسلام جمعك وإياه ، فلمست تفضله بشيء إلا بالتقوى » فلم يحتمل ذلك جبلة واستنصر .

كما ساءى أيضاً بين الحاكم والمحكوم : فهذا عمرو بن العاص ينهض قائلاً « حينما كان عمر يخطب في المسجد الجامع » : يا أمير المؤمنين ! أرايتك أن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعضها إنك لتقصنه منه ؟ فقال عمر :

« إى والذي نفس عمر بيده ! إذا لأقصنه منه !

وكيف لا أقصنه منه ، وقد رأيت النبي يقتص من نفسه ؟

ألا لا تضربوا المسلمين فتدلوهم ! »

وكذلك ساءى بين الخادم والمخدوم : فهذا عمر بن الخطاب — عندما

ذهب لإمضاء الصلح بين مسيحي بيت المقدس وبين جيش المسلمين —

لا يعرف المسيحيون أيهما عمر ؟ وأين الخادم ، وأين السيد ؟ لأنهما كان

يتناوبان الركوب على ناقة واحدة !

وبالاختصار كفل الإسلام جميع الحريات : الحرية الشخصية ، وحرية

الملك ، وحرية التجارة ، وحرية الفكر ، وغيرها ، كما سترى في الفلسفة

التشريعية ، وحرية الدين فترك المسيحيين واليهود يباشرون أمور دينهم

وتقاليدهم وعاداتهم ، ما بقوا بعيدين عن التعرض للإسلام بأذى .

وحرية، التفكير الدينى بين المسلمين مقدسة فهو الدين المسمى بدين :
لماذا ولأن ، لأنه ما شرع شيئاً إلا أقدم له بالأسباب وربطه بالنتائج .
وكذلك حرية السياسة، فهذا عربى من عامة الشعب — وكلهم عامة
حينئذ لأن الإسلام قضى على نظام الطبقات — عند قول عمر بن
الخطاب فى المسجد مخاطباً المسلمين : « لو وجدتم فى اعوجاجاً
فأرشدوني إليه » هذا العربى يهب صارخاً فى وجه عمر : « والله لو
وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا » فيؤ من عمر على قوله .

١٧ — التأمين الاجتماعى لجميع أفراد الشعب

وقد أوجب الإسلام على الدولة أن ترعى جميع الأفراد غير
القادرين على الكسب ، أو المحتاجين من الفقراء والمساكين ، فتوزع
عليهم الزكاة التى تحصلها قسراً من الأغنياء ، لدرجة أن من لم يدفعها يقاتله
حاكم الإسلام حتى يدفعها، وهو بدوره يدفعها إلى هؤلاء المحتاجين، وقد
ذكروا فى الفلسفة الاقتصادية .

كما أوجب على الأفراد الأغنياء كذلك ، أن يدفعوها من تلقاء
أنفسهم إلى الفقراء وغيرهم من المحتاجين .

هذا وإن الإسلام لا تتعارض معه أية نظم اقتصادية ، ما دامت
فى مصاحبة الفرد ولسلامة المجموع ، وما دامت لا تهدم ركناً من
أركان الإسلام الخمسة .

فالتأمين الإجبارى لدفع غوائل المرض والعاهات ولدفع فاقة

المتعطل ، وللتغلب على آفات العجز ، ... لا يمكن بحال ما أن تتعارض
مع أهداف الإسلام ومراميه .

وإن صفحات التاريخ الإسلامى ، وتاريخ النبوة المحمدية ، وما روى
عنهما من أخبار وأحاديث ، وما أثر عن محمد عليه السلام من أقوال
وأعمال ، ليست كل ذلك بل يحض عليه .

وأكد ذلك وأيده أفعال الخلفاء الراشدين وتابعيهم ولو أردنا
تعداد ذلك لآتيننا على الكثير والكثير

١٨ - الهدف الفلسفى الاجتماعى للإسلام

لهذه المبادئ التى تقدمت يمكننا أن نقول : إن فلسفة الإسلام
الاجتماعية ، نبئت بين شقى العدل الطبيعى ، حفظت للفرد حقوقه ، كما
أعطت للإنسانية نصيبها من الحرية والحياة .

فلسفة الإسلام التشريعية

١٩ — بديهيات فلسفية — منبع التشريع

من البديهي أنه يجب أن يكون التشريع خاضعاً لحاجات البشر ، وصوالح الإنسانية ، لا الإنسانية خاضعة للتشريع ، ولذلك :
١ — يجب أن يقن القانون الشعب بنفسه ، لا أن يضعه شعب أجنبى عنه ، أو شخص لا يعرف تقاليده وعاداته .

ب — يجب أن يخضع القانون لطبائع الشعب ، وأن يستمد مواده وحديثاته و « بنوده » من طبائع الشعب وخصائصه .

ح — يجب أن يستمد القانون ، الحق والعدل والحرية والمساواة ، من صفات الشعب وخصائصه ، لا من التفكير الذهني ، والبحث العقلي فحسب .

٢٠ — أبرهما يجب أن يكون منبعاً للتشريع ، هل التفكير

الإنساني العام أو التفكير الوطني الخاص ؟؟

إن التفكير الذهني دائماً خاضع للبيئة التي ينبت فيها المفكر ، كما هو خاضع للثقافة التي تثقف بها ، والبيئات مختلفة والثقافات متعددة ، لهذا كان التفكير في كل أمة مغايراً لتفكير أية أمة أخرى .

فنحن نرى في كثير من الشعوب « لاقديماً فحسب » ولكن الآن أيضاً ومع انتشار المعرفة والثقافة التي تذيبها في أنحاء العالم بل توحيدها : الصحف السيارة ، والإذاعات الأثيرية « اللاسلكية » وما عدا

ذلك حتى أصبح العالم كله كشعب واحد، تشيع فيه الآراء والأفكار والغايات الموحدة.

أقول : ومع هذا فنحن نرى أن ما يعتقده ويظنه شعب عدلاً، هو ظلم لدى الآخرين، ونرى بعض التقاليد التي يقدها شعب ما، ينظر إليها آخر على أنها منكر من المنكرات.

٢١ — الحق يختلف باختلاف الشعوب

نعم إن الحق واحد لا يتغير، ولكن يختلف باختلاف الشعوب والأديان، أو بعبارة أخرى، يختلف باختلاف المقدمات التي تنتج القضية الكلية، ودائماً المقدمات والأسباب، والنتائج والمسببات، تختلف باختلاف الزمن والبيئة، لأن الشعوب في تقدم من حيث الثقافة والتعليم، فتنمو معارف، وتثبت تقاليد، وتنفى عادات، وهي دائماً في تبدل وانتقال ومهاجرة، فما صلح لمصر من القوانين في عهد الفراعنة، لا يصلح لها في عهد الإسلام، وما صلح لشعب رابض على شاطئ النيل، لن يصلح لشعب يقطن شواطئ التيفري وهضاب التاميز.

٢٢ — مطاب القرآن من التفسير الإسلامي

بهذا السنن الفكرى المنطقي، نهج الإسلام نهجه التشريعي، فلم يرسم قانوناً يجب أن يخضع له المسلمون طوال الحياة وفي جميع الأقاليم، وما القرآن إلا كتاب إعجاز نزل على الرسول، ليعجز به العرب، حتى يؤمنوا بأنه رسول من لدن الله (١).

(١) ابن خلدون — الجرجاني : الرافعي

وإذا كان فيه بعض من التشريع، فإنه بجمل لا مفصل، فهذه أركان الإسلام قد ذكرت فيه بالاسم فقط :

وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا

ما هي الصلاة ؟ ما هي الزكاة ؟ ما هو الحج ؟
وما هي التشريعات الأخرى كالهبة والوصية والميراث والنكاح
وكثير من المعاملات والعبادات ؟؟
تركها القرآن للرسول يشرحها بأقواله وأفعاله .

تركها للصحابة من بعده، وللجتهدين والتابعين من المسلمين،
يرسمون الخطة الصالحة للسير في الحياة على ضوء القرآن ، وعلى ضوء
أفعال الرسول وأقواله ، وعلى ضوء حاجات الشعوب مدى
الأزمان المتعاقبة .

٢٣- مصادر التشريع في الإسلام

لهذا كان التشريع خاضعاً لمصادر أربعة : القرآن والسنة ،
والاجماع والقياس « الاجتهاد » :

١ - القرآن وهو كما رأيت لم يتناول من التشريع إلا أسماء
لأركان الدين وواجباته فقط فهو مجمل مبهم .

٢ - السنة وهي تشمل أقوال النبي وأفعاله ، وهي خاضعة

لأسباب ومسببات زمنية وإقليمية، وفضلا عن أنها أفعال رسول
لإله، فهي مبنية على المنطق الإنساني، حتى أنه في بعض الأفعال كان يستشير
أصحابه في أمور الدنيا، بل كان يقبل مشورتهم بدون استشارة منه (١)
ح — الإجماع: وهو اتفاق أغلبية أولى الحل والعقد من مجتهدي
المسلمين وثقاتهم، على رأى من الآراء، أو قضية من القضايا، دينية كانت
أو دنيوية.

د — القياس « الاجتهاد »

١ — منع الاجتهاد هو سر تأخر المسلمين

وهذا هو الباب المرن الذى عند ما قفل تأخر المسلمون بقدر ما
تقدم العالم، فاضحى ما وضعه السابقون لا يمكن أن يغير أو يبدل، لأنه
لا اعتبارات سياسية، منع الولاة والسلاطين الاجتهاد، حتى يحفظوا
ملكهم، ويطمئنون إلى أنه لن يعارضهم معارض، وإذا ما عارضهم
أحد — لأنه لا تخلو أمة من الأمم إلا وفيها المصلح النزيه، والزعيم الذى
لا يخشى فى الحق لومة لائم — فلن يسمع قوله، لأن باب الاجتهاد
قد أغلق.

لهذا جمد التشريع الإسلامى الآن، وما التشريع إلا روح الجماعة
وحياة الأمة.

وإني أرجع الفتنة الشعواء، التى حصلت فى عهد الخليفة عثمان،

(١) ومن الغريب أن مكيا في Machiavelli يوجب على أميره، عدم قبول
مشورة أحد إذا لم يكن قد سأله ذلك «

والتي كانت سبباً في وقف الفتح الإسلامى حيث تحولت في عهده الحرب الخارجية إلى حرب داخلية — أرجع ذلك — إلى أن عثمان كان من المحافظين، وقد شرط ذلك على نفسه، عندما وافق عبد الرحمن بن عوف على: « لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما يعن دون اجتهاد » عند انتخابه خليفة، ولم يوافق الإمام على ذلك حينئذ، قائلاً: إن الزمن قد تغير، فكان سبب تولى عثمان الخلافة هو سبب سقوطه.

ب — الاجتهاد الشرعى فى الإسلام

أما خصائص الاجتهاد الشرعى فى الإسلام فهى:

١ — الاجتهاد مباح لكل شخص قادر على الاستدلال والنظر والبحث: فلا يُلغى شخص حسب التشريع الإسلامى، ولو لم يكن ذا مركز أو رتبة، أن ينظر ويبحث ويستنبط، ويستدل ويبرهن، مادام قادراً على أن يقيم الحجة، ويضئ رأيه بالقرآن والسنة، ويدل على ما اعتقده من رأى، بالمنقول والمعقول معاً، فقد كان الخلفاء يوصون ولائهم بمثل ما وصى به عمر أباً موسى الأشعرى، عندما ولاه الكوفة قائلاً له:

« ولا يمنعك قضاء قضيته أمس، فراجعت اليوم فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التماذى فى الباطل: الفهم! الفهم! فيما تلجلج فى صدرك، مما ليس فى كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشباه والأمثال، وقس الأمور بنظائرها.

ب — الدليل القوي هو فصل الخطاب.

فهذا المجتهد ليس ب لازم أن يصرح له بالاجتهاد الرئيس الديني ، أو رئيس الدولة ، بل بالعكس لأي شخص الحق ، في أن يخرج على الرئيس الديني بالرأي والمذهب ، والفكر والاستدلال ، المعزز بالأدلة ، وللناس الحق في أن تتبع هذا مادامت تعتقد أنه على حق وصواب فيما يفعل ، ويقول ويدل ، كما لها مطلق الحرية في أن تتبع ذاك لأنها اقتنعت برأيه .

ح — اختلاف الأئمة في وسائل الدنيا والدين :

وقد حصل هذا في المائة الثانية من تأسيس الإسلام ، فقد اختلف المسلمون في تأويل القرآن وتفسيره ، وتأويل الأحاديث وروايتها ، في المسائل الدينية والدينية معاً ، والأفعال المروية إنما رواها الناس شفويا ، وكانت هذه الرواية في بعض الأوقات محل طعن وتجريح وتصديق ، فالحديث الذي يصدقه شخص فيعمل به ، لا يصدقه آخر ، ولهذا فهو ينبذه ويناقضه ، أو يروى الحديث بلفظ آخر يختلف مع رواية الراوي الثاني ، فيختلف المعنى ويتغير المقصود ، أو تقول الألفاظ العربية ، وتحمل معاني تقبلها لغويا ، وتسائر المنطق الصحيح ، ولهذا الاحتمال الآخر خضع القرآن والسنة .

د — التشريع الإسلامي خاضع للبيئة

لهذا كانت كل هذه التأويلات والاحتمالات ، والتجريعات والتجريعات ، إنما تخضع للشخص وتفكيره ، أو للشعب وخصائصه ، فهذا

رجل نبت في بيئة ساذجة بسيطة، ليس بها أثر من العلم الفلسفي، فهو يأخذ بظواهر الألفاظ، ويعتمد إلى المعنى صراحة في غير تأويل ولا التواء، ينظر إلى هذه الحادثة فيأخذها مستقلة بأسبابها ومنبياتها، وهذا ما اشتهر به الإمام الشافعي، الذي نضج علميا في جزيرة العرب، فأسس مذهبه الحديث بمصر، والقديم في العراق، ودان به كثيرون من المسلمين يعدون بالملايين.

وهذا رجل ثان، نبت في بيئة علمية فلسفية، ورثت علم الفارسيين، وعرفت الاستنتاجات المنطقية، والآراء الفلسفية، عرفت العلم المنظم، والبحث المستقراً، لها عادات وتقاليد، وبها مشا كل ليست في البيئات الأخرى. وطبيعي أن يكون رجل مثل هذا باحثاً مدققاً له رأى في كل ما يقرأه من قرآن أو حديث، وله الحق في أن يؤول أي فعل أو لفظ، حسب علمه وبجته، ولو كان المعنى ملتوياً، والمقصود غير واضح، مادام المنطق صحيحاً، وهذا ما حصل تماماً لآفي حنيفة النعمان فقد نبت في العراق، وهو بلد يختلف تماماً عن جزيرة العرب، في العلم والبيئة، والتفكير والعادات والتقاليد، وقد أسس مذهبه وتابعه فيه كثير من المسلمين يعدون بالملايين أيضاً.

وقد حصل مثل هذا الكثير من الأئمة، وفي مختلف المذاهب، أمثال الإمامين، مالك وابن حنبل، والشيعية والزيدية والإسماعيلية والوهابية.

٢٤ — الحرية التشريعية في نظر الاسلام

هذه الحرية التشريعية جائزة وصحيحة من الوجهة الدينية، ومسموح بها لأن الاسلام يحض على :

١ — اعمل ما تعتقد :

فالدين الإسلامى يحتم على كل شخص أن يعمل العمل الذى يعتقده ، فلا يجوز لشخص قادر على البحث والاضطلاع بالرأى ، أن يتابع ، آخر اللهم إلا إذا كان هو نفسه مقتنعا برأيه .

ب — الدين فى خدمة الفرد :

إذ أن الدين فى خدمة الفرد كما هو فى خدمة الجماعة ، وهناك قاعدة فقهية تجمع عليها بين علماء الإسلام وهى أن الضرورات تبيح المحظورات ، وصحة الأبدان ولا صحة الأديان ، وما البدن للفرد إلا كالكتلة البشرية للجماعة ، لهذا يضحى بالدين ولا يضحى بالفرد كما يضحى بالدين ولا يضحى بالجماعة ، هذا على فرض أنهما يتعارضان ، ولن يكون ذلك إطلاقاً ، حتى أنك تجدد فى القوانين الإسلامية شواذ لكل مادة ، ومستثنيات لكل قاعدة .

ح — الإسلام دين لماذا ولإن :

فالتشريع الإسلامى دائماً قبل أن يصدر القضية النهائية والحكم الأخير ، يذكر الحثيات ويبسط المقدمات ، عقلية وعقلية ، وإذا ما تعارض الدليل العقلى مع الدليل الثقلى ، أمكن بسهولة ويسر ، تأويل الدليل الثقلى ليجارى وياتم مع الدليل العقلى .

د — الدين الإسلامى والدولة شئ واحد :

ولما كان الدين والدولة شيئاً واحداً — كما رأيت سابقاً — فإن التشريع للدولة كما هى حكومة وشعباً ، يخضع لخصائص الأمة ، وطبائع

الشعب وتفكيره ، مستضيئاً بمبادئ القرآن والسنة ، وهما كما رأيت يقبلان كل شيء فيه مصلحة عامة ، ولم يوجد إلى هذه اللحظة شيء في مصلحة الفرد أو في مصلحة الجماعة ويمنعه الدين .

هو — الدين الإسلامى دين الفكر والعقل :

فالدين الإسلامى يحض على الفكر وعلى البحث والرأى ، ومعنى هذا : الاختلاف فى التشريع والتقنين ، لأنه من المحال أن يكون التفكير بين الناس واحداً إذ البيئات والعادات مختلفة وهى أس التشريع وعماد التفكير - كما رأيت فى الفلسفة التشريعية - لهذا كان كل شخص يخالف الآخر بأسانيده ، هو فى نظره غير مخطئ بل يجب عليه أن يحترم رأيه ويحترمه ، لأنه يحترم دينه الذى يأمر بحرية الفكر ، وبقداسة الرأى .

٢٥ - الهدف الفلسفى للتشريع الإسلامى

لهذا يمكننا أن نقول دائماً وأبداً : إن فلسفة التشريع الإسلامى للدولة إنما هى مشتقة من مصلحة الفرد ، ويمكن أن يغير التشريع ويبدل حسب مصلحة الفرد ، ومصلحة الجماعة ، إذ مصلحة الفرد وخير المجموع ، هما الهدف الأول ، إن لم يكونا هما الهدف الأوحد .

فلسفة الإسلام الحكومية

٢٦ — الحاكم الصالح وكيف ينتخب ؟

إن الحاكم الصالح هو من يتزعم الشعب لا لقوته وبطشه ، ولا لعنصره وماله فقط ، وإنما الحاكم الصالح للحكم ، هو الذى يقود الشعب لصلاحيته للزعامة ، ولسهره على سعادة المحكومين ، ولو كان أضعفهم جسماً وأقلهم مالا وعصية .

ولكن ... كيف يختار هذا الزعيم ؟

هل يفرض نفسه على الشعب فرضاً ؟

وما الحكم إلا قبول بالطاعة والولاء ، وإيجاب بالقيادة العادلة ، أو يختاره الشعب ؟

وإذا كان الشعب يجب أن يختار حاكمه :

١ — فهل يشترك فى اختياره كل عامة الشعب ودهمائه ؟

ومن هؤلاء الفقير : الذى لا يهتم إلا اللقمة يسد بها رمقه ، ومنه متوسط الحال : الذى لا يهتم إلا الدرهم يضاعف به ماله . ومنه الجاهل : الذى لا يفقه من أمور نفسه فضلاً عن أمور وطنه شيئاً .

ومنه الأجير الذى لا يطعم فى أكثر من أكلة ونومة ليستعيد بها قوته ، ومن أجره بها يبق على الرمق الأخير ، ويحفظ له بصيص الحياة !! نعم .. إن هذه الطبقات من الأمة ، كان يمكن أن تنتج ناخبين صالحين لو أنها تعلت فتضج تفكيرها ، وارتفع مستوى معيشتها ، فسلم جسمها

نعم ... كان يمكن أن تنتخب هذه الطبقات نوأبأ صالحين لو أنهم قبل ذلك — أو لو أن حكومتهم وقادتهم — قد حاربوا الفقر في بيئتهم ، واقتلعوا المرض من جسامهم ، وأبادوا الجهل من نفوسهم . نعم إن هذه الطبقات وهي معظم أفراد الشعب : كان يمكن أن تكون محوراً يقوم عليه اختيار الحاكم لو أن جسمها كان سليماً فالمرض بعيد عنه ، ولو أن مجتمعا كان قوياً فالفقر لا يفرخ فيه ، ولو أن عقلها كان مهذباً فالجهل لا يستحوذ عليه .

أما الآن والفقر والجهل والمرض ضاربة أطنابها ، ومثبتة أوتادها بين جموع هذه الطبقات فلا تنتظر منها — كما دل التاريخ وبرهنت الأيام — إلا أنها تسير وراء المسال فتنتخب من يخطف بصرها به ، أو تسير وراء الدعي المخادع الذي ينتهن جهلها فيلوح لها بالوعود الكاذبة المغررة ، أو أنها في قرارة نفسها لا تهتم بشيء فتترك كل شيء ، وتكون في عملياتها الانتخابية أشبه بآلة مقودة آلياً ، ففي أي ناحية وجهتها توجهت ، وإلى أي وجهة دعوتها سارت وصوتت .

ب — أو هل تشترك في اختيار الحاكم الطبقة الغنية المالكة لأرض الوطن ومرافقه ؟ وهي لا يهمها إلا استعباد عمال الوطن وفلاحيه ، والسير بالدولة إلى الهدف الذي به يضخمون ثروتهم .
 ج — أو هل تشترك في اختياره الطبقة المسترشدة من الأمة لا غير ؟ وفيها أئلاث المتعلمين وأنصاف المسترشدين ، وويل لأمة تزعم فيها

هؤلاء ، فهم يرددون كالبيغاء أقوالاً سياسية حفظوها ، ونظريات اجتماعية لقنوها .

٢٧ — صورة صادقة لا اختيار الحاكم الاسمى . كيف انتخب الخلفاء ؟

٥ — أو هل تشترك في اختياره الجماعة المستنيرة من أهل الحل والعقد ، المطلعة على أسرار الأحوال العامة ، داخلية وخارجية ، الحبيرة ببواطن السياسة وظواهرها ، الغيرة على مصلحة الوطن ؟ فيختارون لزعامتهم شخصاً يؤمنون بصلاحيته ، ويعتقدون بوجوب طاعته ، حيث أنه أهل لقيادتهم ، فيوصلونه إلى الحكم بانتخابهم ، ويحمونه بأرائهم وبأموالهم ، بل وينفوسهم ماداموا مؤمنين بصلاحيته للحكم وبأحققيته للزعامة والسلطان ، وذلك ما حصل في انتخاب الخلفاء الراشدين .

١ — كيف انتخب أبو بكر ؟

فهذا عمر بن الخطاب يقول :

انطلقت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بعد موت النبي إلى سقيفة بني ساعدة حيث الأنصار يتشاورون لتنصيب سعد بن عبادة حتى وصلنا إليهم فإذا به يسمع صيحات تلو :

منا أمير ومنكم أمير ،

منا الأمراء ومنكم الوزراء .

العرب لاتعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قریش ، نحن الذين آووا ونصروا .

ويقوم الحباب بن المنذر فينتضي سيفه ويقول :
 أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب .
 فيضربه عمر بيده فيقع السيف منها ثم يصيح عمر :
 « امدد بك يا أبا بكر فلا بايعك »
 فتتابع القوم على البيعة « وكانت فلتة كفلتات الجاهلية »
 ويقول عمر : ثم نزونا على سعد المريض حتى قال قائلهم : قتلتم
 سعداً ، فقلت : قتل الله سعداً - اقتلوه اقتلوه ،
 ولما تخلف على والزبير مع بعض المهاجرين ، يقول عمر عنهم :
 فانطلقت إليهما قائلاً :
 والله لأحرقن عليكم داركم ، أو لتخرجن إلى البيعة . فحشيت بهما
 تعباً ، وقلت لتبايعان وأتما طائعان أو كارهان ، فبايعا .
 وظل على متباعداً عن أبي بكر حتى بايعه البيعة المختارة في المسجد
 بعد ستة أشهر تقريباً حين انصرف عنه وجوه الناس (١)
 ب — كيف انتخب عمر ؟
 ثم إذا بنا نرى هؤلاء الذين لم يبايعوا أبا بكر لهوادته ورأفته
 وعدم بطشه أمثال علي بن أبي طالب والزبير .. يسارعون إلى
 التصديق على عهد أبي بكر لعمر مع إيمانهم بأن « عمر شديد البطش
 وسيركب بالآلة المركب الصعب » كما صرح بذلك بعض الصحابة
 وكما روى ذلك الطبري .

(١) الطبري ٣ ص ١٩٩ ، ١٩٨ ، ٣٠٢ ، ٢١٩ ، ٢١٠

ج — كيف انتخب عثمان ؟

أما في انتخاب عثمان فيقول عمر وزير أبي بكر ، وثاني خلفاء محمد عليه السلام — والذي أصبح في عهده للمسلمين إمبراطورية ذات أقاليم ومدن وأمصار — يقول لصهيب :

صل بالناس ثلاثة أيام ، واجمع عليا وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر — ابنه — ولا شيء له من الأمر وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبي واحد فاضرب رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فريضوا رجلاً منهم وبقى اثنان ، فاضرب رأسيهما بالسيف ، وإن رضى ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً منهم ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله ابن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس .

٢٨ — البرموقراطية الحقبة بين الإسلام والنظم الرومية الحربية

١ — بيعة خليفة محمد عليه السلام يحضرها ثلاثة من المهاجرين وعدد من الأنصار !! وهم بعض أهل الحل والعقد من رجال المدينة فقط ، مع أن البلاد العربية بما فيها مكة — مقر بيت الله الحرام ، وبها قبلة الإسلام وهي تخضع للإسلام في ذلك الوقت — كانت زاخرة بكبار الصحابة والمسلمين

أما باقى المسلمين فمتفرقون فى البلدان لنشر الدين الجديد !!!

ب — تنصيب عمر ثانى الخلفاء ، يكون بعهد من أى بكر بعد
استشارة بعض أصحابه ، ولا نجد من المسلمين معارضين !!!

ح — انتخاب عثمان يكون برأى أربعة فقط كما تقدم لك ،
حيث أن علياً لم يوافق على البيعة ، مع أن الإمبراطورية الإسلامية
فى ذلك الحين كانت قد امتدت أطرافها ، فشملت مصر وفارس
وشمال أفريقيا .

أما التصديق على هذا الانتخاب ، وما يسمى بالبيعة العامة فى
المسجد الجامع ، كما حصل فى انتخاب الخلفاء الثلاثة فما هو إلا من
قبيل إعلان الناس بتولى الحاكم الجديد السلطة والحكم ، فلم يحصل
نقاش ولا جدال بل ولم يوجد معارضون .

٢٩ — نوع الحكم الإسلامى والمصادر وعناصره

إذن فما هو نوع الحكم الإسلامى ؟

هو نوع جديد لم يعرف له مثيل بعد فى العالم القديم والحديث
وإن كان قد نبت فى قلب الصحراء العربية وفى القرن السابع الميلادى ،
هو نوع جديد إستعد له المسلمون الأعراب بفطرتهم ، هداهم إليه
الدين الجديد وتعاليم محمد عليه السلام .

وعناصر هذا النوع هى :

١ — نصب الإمام الزعيم والحاكم الأعلى واجب .

٢ — الاشتراك في انتخابه فرض كفاية .

٣ — ينتخب من بين أهل الحل والعقد من المسلمين .

٣٠ — من لهم من اختيار الحاكم الإسلامي ؟

٤ — ينتخبه أهل الحل والعقد من المسلمين ، وهم الذين يركن إليهم الإمام السابق في مهام أموره الشورية ، ويقطنون عاصمة الخلافة غالباً ، مشهورون بالوطنية الصادقة ، وبالإسلام الصحيح ، وحسن الجهاد في سبيل الله بالعلم والعمل ، مهتمون على شؤون الدولة روحياً وفكرياً .

قد يكونون ثلاثة ... أو أربعة ... أو خمسة أو ... وهؤلاء هم أهل الشورى الذين أرادهم القرآن بقوله :

« وأمرهم شورى بينهم » « وشاورهم في الأمر »

كما فسره بذلك كثير من المفسرين ، هذا فضلاً عن أن الصحابة وهم أعلم الناس بمرمى القرآن ومقصد الرسول ، لم يستشيروا الأمة الإسلامية فرداً فرداً ، بل استشار أبو بكر اثنين أو ثلاثة أو أكثر من الصحابة الذين يعيشون معه في المدينة - كما يروى التاريخ - حين عهد لعمر .

ووضع عمر أمر الخلافة في ستة فقط .

وقد عبر بذلك صراحة البصريون والكوفيون الذين اجتمعوا بعد مقتل عثمان حين جمعوا وجوه الصحابة بالمدينة وقالوا :

« أتم أهل الشورى وحكمكم جائز على الأمة ، فاعقدوا الإمامة
ونحن لكم تبع »

٣١ — انتخاب الحاكم الإسلامي على درجتين

يحصل هذا الانتخاب على درجتين :

١ — الانتخاب من تلك الجماعة — جماعة أولى الحل والعقد
من المسلمين — جماعة أهل الشورى ، الصغيرة العدد ما استطيع إلى
ذلك سبيلا .

٢ — التصديق والإعلان عن هذا الانتخاب بالبيعة العامة في
المسجد الجامع مع تبيان السياسة الجديدة بكلمة من الخليفة الجديد
« كخطبة العرش »

٣٢ — جزاء المخالف للأغلبية

ومن يخالف الأغلبية المطلقة من أهل الحل والعقد فضلا عن
أى شخص من عامة المسلمين ولم يقبل نتيجة الانتخاب ، ولم ولن
يبايع ، وكان خطراً على الدولة الإسلامية أو على الحكم الجديد ، فليقتل
بحد السيف كما أمر عمر صهيباً بذلك كما تقدم .

٣٣ — ما يشترط مراعاته عند اختيار الحاكم أو الموافقة عليه

يشترط في أهل الحل والعقد الذين ينتخب الإمام منهم ، أو بعبارة
أدق يشترط في الحاكم الجديد أن يكون : —

١ — أن يكون : عالما علما يكفيه في تحصيل الاجتهاد بنفسه في كل الأمور، حتى ينفرد برأيه عن هدى وصواب واستدلال ، لأن التقليد والخضوع لرأى الغير نقص ، والإمامة تقتضى الكمال .
ب — العدل والنزاهة .

ح — الكفاية بأن يكون جريئاً على إقامة الحدود واقتحام الحروب ، بصيراً بها ، كفيلاً بحمل الناس عليها ، عارفاً بالدهاء ، قوياً على معاناة السياسة ، ليصح له بذلك ما جعل له من حماية الدين وجهاد العدو ، وإقامة الأحكام وتدير المصالح .

و — سلامة الحواس والأعضاء من النقص مما يؤثر في عمله .
وقال بعض المسلمين بوجوب كونه من قریش ، ولكن أجمع المسلمون على أن يكون ذا عصبية أى ذا قوة قديمة أو مستحدثة أدبية أو مادية ، يستمدّها من نفسه أو من جنسه أو من عصبية .

٣٤ — مدى ما تمتنع به الحاكم الإسلامى من سلطة !

هذا الحاكم هو الرئيس الأعلى للدين والدولة ، فيتولى شئون الإمامة الكبرى ، وهى الصلاة والقضاء والجهاد والحسبة (١) ، له الهيمنة على كل صغيرة وكبيرة ، له الحق فى عقد المعاهدات وإعلان الحروب له أن يولى من يشاء ويعزل من يشاء ، له أن يتصرف فى أقدار المسلمين حيث يابعوه على أن يسلموا إليه النظر فى أمورهم وأمر المسلمين ، لا ينازعه

(١) الرقابة العامة

في شيء من ذلك ويطيعونه فيما يكلفهم به من الأمر على المنشط والمسكره ،
إلا أمراً ضد أحكام الدين « فلا طاعة لخلق في معصية الخالق »

٣٥ — موقف الحاكم الإسلامي من الشورى

أما الحاكم فله الحق في الاستشارة ، وعلى من طلبت منه المشورة
أن يشير .

وللحاكم ألا يأخذ بما يشار به عليه ، ولكن غالباً إذا كانت عن
دليل أخذ بها .

وللحاكم أن ينفرد برأيه حتى ولو كان جميع المسلمين عامة وخاصة
ضد رأيه ، حتى ولو كان أهل الحل والعقد من المسلمين يناقضونه
فكرته ، وذلك كما حصل فعلاً مع أبي بكر حين أراد محاربة العرب
جميعاً عندما منعت الزكاة ، وخالفه في ذلك كل الصحابة حتى عمر
وزيره ، فلم يعبأ برأيهم وأنفذ رأيه .

وليس هذا بظلم أو تعسف أو خيانة ، ولكن الخيانة الكبرى
والجريمة التي لا تغتفر هي أن ينفذ الحاكم رأياً يختلف مع رأيه هو
« ولو كان الناس جميعاً ضد رأيه »

الجريمة : هي ألا ينفذ رأياً كونه هو لا كفرد من عامة المسلمين
أو خاصتهم ، لكن كحاكم مسئول عن الحكومة وسياستها ، كحاكم
مسئول عن حسن القيادة لأمته ، أمام ضميرها وأمام الله وأمام العالم
أجمع وأمام التاريخ الذي لا يرحم .

هذه هي الجريمة الكبرى في نظر الدين الإسلامي « كما ينبغي بذلك تعصب أبي بكر في إنفاذ رأيه » جريمة في حق الأمة التي أسلمته قيادها ، إذ هي أعطته ثقها مدى الحياة ، فهو الخبير المطلع كحاكم مسئول فلا يقبل منه الإسلام أن يلقى المسؤولية على غيره ، إذ هو مجتهد فيجب ألا يقلد غيره « هذا إذا لم يقتنع برأى ذلك الغير » وإلا حكم على نفسه بأنه غير أهل للإمامة والقيادة ، إذ من شروطها الأساسية العلم الذي ينتج الاجتهاد ليؤسس عليه رأيه وفكره ، لأن الإمام أعطى هذا المنصب ليقود لا ليقاد ، وفي الوقت الذي يشعرفيه بالعجز عن تكوين الرأى وتجميع الفكر ، يجب عليه أن يستقيل ، فيترك المسؤولية لغيره ويلقى عبثا على سواء بدلا من أن يحكم البلاد غيره تحت ستار اسمه .

٣٦ — الدستور الاسمي الذي يجب أن يخضع له الحاكم ولكن ماهو الدستور الإسلامي الذي يجب أن يخضع له الحاكم الإسلامي ويتبعه ؟

نعم إذا كان الدستور الإنجليزي هو أسمى أنواع الدساتير « كما يقولون » لأنه غير مقيد بل هو مجموعة تقاليد وعادات وسوابق فهو مرن يقبل كل شيء في صالح الشعب .

نعم إذا كان الدستور الإنجليزي وهو كما يقال أسمى أنواع الدساتير كما سبق ، فليس الدستور الإسلامي إلا كذلك .

فالقرآن ليس دستورا بالمعنى المتعارف بين الدول الحديثة

إذ هو كما تقدم في الفلسفة التشريعية ليس فيه من الناحية التشريعية إلا إجمال لبعض الواجبات والأحكام ، يفصلها الرسول بقوله وفعله ، ويشرحها الصحابة ويزيدونها تفصيلاً بقولهم وفعلهم كذلك ، ثم يزيدها تبياناً وإيضاحاً مجتهدو المسلمين وفقهاؤهم ، وعلى هذا فالحاكم الإسلامى له أن يؤول القرآن ، ويفسر الحديث ، ويبسط الأحكام ، ويقيس الأمور بأشباهها حتى يسائر المصلحة العامة أو حتى يسائر المنقول المعقول ، وإذا كان في الأمر جديد فعليه أن يستبد برأيه ، مستتيراً بالغرض الحقيقي من الإسلام ، وبالهدف الأسمى للدين الإسلامى ، وقد تقدم ذلك مفصلاً في الفلسفة التشريعية .

٣٧ — بعض الأهداف التى برمى إليها الإسلام من عدم

تجريد الحاكم

ولهذا فالحاكم الإسلامى العام بعد اختياره ، يجب أن يبقى مدى الحياة ، حتى يأمن تملق الشعب ومداهنته لينتخب ثانية . فلا يعمل العمل السريع الانتاج ليرضى الشعب ، ويترك العمل الأكثر نفعاً ودواماً وصلاحية لأنه قد يحتاج إلى عشرات السنين ، وقيادة الأمم تتطلب غير هذا ، إذ الحاكم يجب عليه أن ينظر إلى الشعب كمجموعة عامة ، يفعل ما يراه صالحاً للشعب طال أو قصر زمن الانتاج ، رضى بعض الأفراد أو غضبوا .

٣٨ — هل للحاكم الإسلامى أن يشير بخلفه
نعم .. لهذا الحاكم ، الحق فى ألا يشير بخلفه كما فعل محمد عليه السلام

وله أن يشير بخلفه «لامبايعه» بعد أن يستشير ، وله أن يعين من يشير به من بين أهل الحل والعقد من المسلمين ، ويعين أسماهم ويحضرهم كما فعل عمر بن الخطاب مع عثمان .

٣٩ — كيف يختار الحاكم أعوانه؟

هذا الحاكم له الحق في أن يختار للولاية من يشاء من العمال ، ويعزل من يشاء حتى في أخرج الأوقات ، فقد عزل عمر بن الخطاب حين ولي الخلافة خالد بن الوليد ، وولى أبا عبيدة مكانه في حرب القادسية .

هذا العامل الذي يختاره الحاكم العام «ال خليفة» هو صورة مصغرة من الحاكم العام في سلطته ، فليس له من دستور إلا القرآن والسنة وفعل الصحابة ورأيه ووصية الحاكم العام .

فقد كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار واشترط عليه ألا يركب برذونا ولا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقاً ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس .

ولهذا العامل أن يستشير الحاكم العام أو أهل الحل والعقد من مسلمي بلده أو إقليمه أو مجتهدهم .

وإذا أراد الحاكم العام شيئاً بناء على رغبة منه أو بناء على استشارة العامل له ، ولم يوافق عليه هذا العامل بعد بيان الأسباب من الحاكم العام ، فلا يجد مناصاً إذا احترم نفسه من الاستقالة لأنه لا يمكنه أن

ينفذ شيئاً هو مقتنع بخطئه فيه فيحرم من الثواب المعنوى والأجر الدينى الذى تطوع فقبل الحكم لأجله .

لأنه: أما وقد قبل الحكم فعليه أن يتقشف، وعليه حتماً أن يراعى فى حياته الخاصة أن يكون كأقل فرد عادى فى الجماعة التى يحكمها « كما رأيت ذلك فى وصية عمر لعامله السابقة »

نعم لأنه: أما وقد حرم من الثواب المعنوى والآخرى « لأنه سيعمل ضد رأيه ولأن نيته لا تتفق مع عمله » وهو الثواب الوحيد الذى يكسبه من وظيفته، فليترك عمله غير آسف باحثاً عن عمل دنيوى يكسب منه المادة أكثر مما كان يكسب .

٤٠ — الأجر المادى المحاكم العام ولعماله

خلق الله الناس مختلفين فى التفكير ، فخلق العالم البعيد النظر الفطن ، وخلق الجاهل الذى لا يهتم من الحياة إلا أن يعيش ليأكل ، فهل مسؤولية هذا العالم أمام العالم وأمام الضمائر الحية والتاريخ كمسؤولية الجاهل سواء بسواء ؟؟

العالم أعطى هذه الموهبة الخارقة فيجب أن يوجد فى عمل يناسب تفكيره وموهبته ، ويوم أن يقلد هذا العمل الرئيسى الهام الذى يشعر فيه بالسعادة النفسية لأنه يعمل العمل الذى خلق له ، والذى يتناسب مع مؤهلاته الطبيعية ، يكون متساوياً تمام المساواة مع هذا الفلاح البسيط ، الذى يقلب الأرض طوال النهار ويذهب ليلاً ليأكل فينام .

نعم فكلاهما موهبته وعمله متساويان .
 نعم فكل مهياً لما خلق له ، وكل ينصب في عمله بقدر ما وهب ،
 فعلى قدر رأس المال تكون الفائدة النسبية ، فعشرة جنيهات تربح
 نسبياً كما تربح آلاف الجنيهات ، لهذا وجب على الحاكم العام الذى
 أعطى موهبة القيادة الصالحة ، والذى هياً له الشعب هذا العمل
 الذى لا يصلح إلا له ، والذى يجد فيه سعادته ، عليه أن يدفع ثمن هذه
 السعادة معنوياً وأدنياً: بزيادة السهر على الرعية ، والعمل على راحة
 الشعب ، والفناء لأجله ، ومادياً: بأن يتعهد مرافق الأمة بالزيادة والنفاء
 فهذا عمر بن الخطاب: تشتهى أولاده البطيخ فتأمرهم أمهم بجمع
 النوى من الطريق لبيعه عليقاً للإبل ، وعندما يرجع عمر إلى منزله
 تحبسه امرأته بوجود بعض الفليسات التى جمعتها للتفريج عن أولادها
 فيقول عمر ما معناه: تبالك يا عمر أليس جمع النوى منبأ من
 منابع الثروة للسلبين .

ثم يأخذ عمر هذه الفليسات ويضيفها إلى بيت مال المسلمين ، الذى
 يحوى القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، الواردة من أنحاء
 الأمبراطورية الجديدة ، من ذهب كسرى وقيصر .

٤١ — الناس على دين زعمائهم ومطاميرهم

عرف ولاية الإسلام هذا المبدأ فكانوا المثل فى الزهد والتقشف ،
 فهذا أبو بكر يقوم على شئونه الخاصة ، وشئون المستين ، وعندما يبيع
 بالخلافة . سمع جارية تقول لأُمها: من يحلب لنا اللبن بعد ذلك ؟
 وكان أبو بكر هو الذى يحلب لهم فقال : والله لن يغير هذا
 الأمر منى شيئاً وظل يحلب لهم وهو خليفة .

ومنع الصحابة من مباشرة تجارتها حتى يتفرغ لشئون المسلمين ، فكان يأخذ ما يقوم بأوده هو وعائلته ، ولما مات لم يوجد في منزله ما يكف به فرفهن ابنته سيفه واشترى كفننا لأبيه .

« وقد حسب بعض المؤرخين ما أخذه أبو بكر من بيت مال المسلمين « وزارة المالية » طول خلافته وهي ٢٨ شهراً ، فكان ٨ آلاف درهم « أى في كل شهر : ٢٨٥ درهم تقريباً » يساوى سبعمائة قرش تقريباً . »

وكان عمر يلبس الثوب الواحد المرقع ويخيطه بالجلد ، فقد روى التاريخ أنه عندما ذهب إلى بيت المقدس لتوقيع الصلح بين المسلمين والمسيحيين كان يلبس ثوباً واحداً وقد تمزق بمحاذاة ركبتيه حيث كان يركب الناقة . فأعطى عمر ثوبه هذا لأسقف من الأساقفة ليخيطه له ، وعندما رده الأسقف إليه أهده أيضاً ثوباً جديداً قما فأخذ عمر ثوبه القديم ورد الجديد إلى الأسقف قائلاً له : « إن ثوبى أصلح لامتنصاص العرق » .

وكان عمر في بعض الأحوال يرعى إبل المسلمين بل ويدهن بعض البعران الجرباء بالقطران حين الظهيرة ووقت اشتداد الحر وعندما قيل له :

هلا تركت هذا لعبد من عبدان الصدقة يا أمير المؤمنين ؟؟

قال لمحدثه وهو الأحنف بن قيس :

« هل يوجد من هو أعبد مني ومنك ؟ اخلع رداءك هذا وهلم فأعن أمير المؤمنين »

وكان عمر يجمع فقراء المدينة كل أسبوع يؤاكلهم ويشاربهم
على مائدة واحدة .

وكان عمر يبحث على الاقتصاد فقد ضرب بدرته يوماً شخصاً اعتاد
أن يشتري كل يوم لحماً قائلاً له : ألا طويت بطنك يومين ؟
وكان يبحث على العمل فقد رأى جماعة انقطعت في المسجد لعبادة
الله صوامين بالنهار قوامين بالليل ، فنهاهم عن ذلك وضربهم بدرته
قائلاً :

العمل العمل .. كل يادهر كل يادهر .

٤٢ — ماهو الزهرى الفلسفى الذى يرمى اليه حكماء الامم ؟

بعد هذا ألا ترى معنى : أن فلسفة الإسلام الحكومية ؛ إنما نبتت
على أساس المساواة بين الحاكم والمحكوم ، إنما قامت على الفناء
لأجل الشعب ورفاهيته .

فالحكومة تخدم الشعب ، وإن ظهر للناس أنها تقوده ، والحاكم
وعماله هم حفظة الشعب وإن بدا أنهم القوامون عليه .

فلسفة الإسلام الحربية

٤٣ — الانسان مرن بطبعه

إذا كان الإنسان مدنيًا بطبعه فهو حربي بغريزته ، إذ غريزة الحرب من أقدم غرائز الإنسان ، وانها هي وغريزة حب النوع من أهم الغرائز في طبيعة البشر^(١) إذ الطمع من خصائصه ، والدفاع عن النفس من أشد لروميّاته وهذه من خصائص الفرد كما هي من خصائص الجماعة ، وهي التي يسميها علماء النفس غريزة السيطرة وحب التملك . ومن الغريب جداً أن ينزلق هذا المبدأ إلى الحيوان والنبات بله الجماد : فما التهام السمك الكبير للصغير ، وما إفناء الشجرة المجذرة المفرعة للصغيرة البسيطة فتمنعها حقها من الغذاء والضوء ، وما الزلازل والبراكين ، وتفتق نجم لأنه يقع في مدار نجم آخر ، إلا أثر من آثار هذا المبدأ ، مبدأ تنازع البقاء ، وما تنازع البقاء إلا الحرب بعينها وخصائصها .

٤٤ — هل الحرب والثورات مشروعة ؟

ولكن هل الحرب والثورات مشروعة كمشروعية السلم ؟

(١) بلدوين رئيس وزراء إنجلترا من خطبته في البرلمان الإنجليزي حين الحرب الإيطالية الحبشية .

ولكن هل في الحرب صلاح المجتمع الإنساني كصلاحية السلم ؟
وما هي الثورة إذا ؟

أليست الثورة في عرفنا هي الخروج على القانون الموضوع
المتعارف ؟؟

وأليست هذه القوانين هي من وضع الإنسان ؟
وأليس ما خلقه إنسان يمكن أن يهدمه إنسان ؟
هذا لأنه رأى في البناء صلاحية له، وذلك حر في أن يهدم لأنه
رأى أن يبني على أنقاضه شيئاً أحسن وأنفع .

فالهدم إذن لغرض ، مشروع كمشروعية البناء لغرض .
أليس قانون اليوم الذي نشور ضده لنقتلعه، هو قانون الأمس
الذي ثار واضعوه لهدم ما سبقه من قوانين ؟ فقد سديم اليوم هو
جديد الأمس .

٤٥ — الثورة والقانون الطبيعي

فالثورة إذن: نظام مشروع وقانون طبيعي يظلل أنحاء الكون،
وها هوذا قانون التحول الفجائي «Notament, Notation»
قد أثبت منطقيته علم الحياة ، فما التوأمين إلا ثورة على النظام
المتبع كولادة طفل ناقص أحد الأعضاء ، أو زائده، أو لا يشبه أباه
ولا أمه، سواء بسواء . وما الثمرتان الملتحمتان إلا خرق للقانون
الطبيعي المتعارف كفساد مبيض الثمرة، سواء بسواء .

وما لبث كان الذي يخرج الذهب ويزجي المعدن ، إلا حرب على الطبيعة الساجية كزلزال خرب البلاد وبركان هز الأرضين بسيله النارى ، سواء بسواء .

٤٦ — هل الثورة صفة طبيعية منطقى ؟

ولكن بعد ذلك أحس أنك تقول : إن لكل هذه التحولات والانتقالات نظاما متعارفا ، وعللا وأسبابا منطقية .

نعم . . لك أن تقول ذلك ، ولكن يجب ألا تنسى أن للحروب والثورات عللا وأسبابا ، ويكفى أن تعرف : أن أية ثورة لا يمكن أن يندلع لها إلا إذا كان قد أعد لها الكبريت الأحمر والخطب الناشف . هذا الإعداد الذى يسبق الإشعال ، ماهو إلا العلة والسبب ، فإما شعور بظلم يرجو الثائرون اقتلاعه ، وإما بغية فى إصلاح يريدون تأسيسه ، نعم قد يكون رأى الثائر خطأ ، وقد تكون العلة والسبب غير صحيحة .

ولكن . . أليس لغيرك الحق فى أن يفكر كما لك كل الحرية فى أن تعارضه تفكيره وتخالفه رأيه ؟ وأخيراً لن يحكم بينكما إلا البقاء للأصلح ، والطبيعة كعادتها لن تبقى إلا على الأقوى ، ولن يفوز فى الميدان إلا الأسد المصور .

إذن الحرب والثورات مشروعة كمشروعية السلم سواء بسواء .

٤٧ — أهداف الثورة

إذن إلى الحرب لنشر الحرية والسلام ، إلى الثورة لتحقيق الحق

والعدل ، إذأ إلى النضال ، إلى الغلاب ، إلى الجلاذ لنشر الإخاء
والمساواة .

٤٨ — عناصر الفوز والغلب في الحرب

ولكن ماهى عناصر الغلب والظفر ؟؟
إن من طبائع النفوس البشرية ، وخصائص الجماعة الإنسانية ، أنها
لا تتحرك إلا لغرض ، أو على الأقل لا يشور قائد الجماعة إلا لتحقيق
هدف ، هذا الغرض وذاك الهدف ، قد يكون ماديا وقد يكون معنويا ،
وبقدر وضوح الهدف وأهميته وشدة لزمه ، تكون قوة النضال
وجسامة الجهاد ، أو بالأحرى يكون الفوز والغلب .

٤٩ — هرف الثورة المادى

هذا الهدف يجب أن يكون معنويا حقاً ، لأنه إذا كان الفرد
يحارب لأجل الوصول إلى هدف مادى ، فقد يكون هذا الهدف سبباً
من أسباب الهزيمة والفرار ، أكثر ما يكون سبباً من أسباب النصر
والقرار ، إذ ماذا تعنيه المادة بعد أن طار فكك وبترت يده ؟
كيف ينعم بالذهب النضار بعد أن فقئت عينه وقطعت رجله ؟
كيف يتنفع بالمادة وقد حشد لأجل الحرب ماله وولده فأنت
عليهما؟ ماذا يعنيه نعيم الدنيا وقد أصبح محروماً من الاستمتاع بها ،
والتلذذ بحلوها هو وآله ؟
ومع هذا فهو يحارب لأجل مادة مشكوك في الحصول عليها

فيخسر مادة مؤكدة بين يديه ، إذا الفرار الفرار ، فعصفور في اليد
خير من عشر في الشجرة !

٥٠ - هدف الثورة المعنوى

أما إذا كان الهدف معنوياً ، وما يحارب لأجله غرضاً لا يصل
إليه إلا ببذل المادة ، إذا ليرتفع عن المادة وعن النضال لأجل
تحقيقها ، وليبذل المادة لأجل هذا الهدف الأسنى الذى أشرب بدمه ،
بل ليبذل الحياة وكل ما فيها من مال ونفس وولد لأجل هذا المعنى
السامى ، الذى غرسه القائد فى ضميره ، فأصبحت الحياة بجانب هذا
الهدف لاتساوى فتيلًا ولا قطميرًا .

٥١ - أهداف الثورات التاريخية

فنا بليون ؛ ما كان يحرك ضمائر جنوده ويشير كوامن نفوسهم
الابفخار فرنسا ، ونصر فرنسا ، وشرف فرنسا .

وموسوليني ؛ ما كان ليملك زمام مواطنيه إلا بالتغنى بمجد روما
القديمة ، ومدنية روما العتيقة .

وهتلر ؛ ما كان يمكنه أن يقود شعبه إلا بالتلويح لهم بإحياء
العنصر الجرمانى وألمانيا فوق الجميع .

والحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ، ما كان يمكنهم أن يحوزوا
قصب النصر ، إلا عندما أعلنوا بين جنودهم وحلفائهم ميثاق

الاطلا على بحرياته الأربع : حرية الكلام ، وحرية العقيدة ، وحرية التجارة ، وحرية الأمم .

والإسلام ؛ ما كان يمكنه أن يفتح هذه الفتوح من نهر التساج بأوربا إلى نهر الكنج بآسيا ، ويقوض الامبراطورية الرومانية الشرقية ، والامبراطورية الفارسية ، إلا إذا تغنى جنوده بهدف معنوى ؛ هو الدين ، هو الجنة ، هو النعيم الآخروى ، هو الثواب فى الحياة الثانية ، هو : الموت لكسب الحياة .

وما الفخار الفرنسى ، والمجد الرومانى ، والعنصر الجرمانى ، والدين الإسلامى ، إلا أهدافاً معنوية ، لا أثر للمادة فيها ، هذه الأهداف المعنوية هى التى كانت تحرك هاته الجماعات ، فما كانت ترضى إلا بالنصر لتحقيقها أو بالموت فى سبيلها .

٥٢ — وضوح الهدف الثورى

هذا الهدف وذلك الغرض الذى يصبو اليه قائد الجماعات ، يجب أن ينشره بين من يقودهم حتى يؤمنوا بإيمانه ، وحتى يعوضهم هذا الغرض السليم عما يخسرونه فى الحرب ، وإن لم يمكنه أن ينشره بوضوح وجلاء لغموض الهدف على أفهام الجماعات ، أو لعدم مقدرتهم على إدراك كنهه ، أو لأن عقولهم غير المثقفة لا تقبله ، فعليه أن يخاطب الناس على قدر عقولهم فيوضحه ويقربه ، ويضرب الأمثال الحسية والمعنوية ، ولا مانع من أن يعدد الأغراض بحسب الجماعة

التي يقودها، فيؤمل ذلك بما يطمح له ، ويرجى ذلك بما يحتاج إليه ،
فلن يستوى الجاهل والعالم في الغرض والهدف ، ولكنهما يستويان
أمام القائد في الاحتياج إلى مجهودهما ، فعليه إذاً أن يحقق هدف هذا
ورغبة ذلك ، حتى يضمن معاونتهما إليه .

ولكن .. عليه ألا يخرج عن حدود الدائرة الكبرى ، والهدف
الأسمي الذي رسمه للجماعة ، وقادها لأجل تحقيقه ، وإلا كان ذلك وبالا
عليه وعلى نجاحه .

٥٣ — الإيمان بالهدف الثوري كعنصر وهيم للفوز

هذا الهدف يجب أن يستميت القائد والجندى في الوصول إليه ،
ويناضل بقوة بأس وشجاعة قلب لتحقيقه .

يجب أن يعتقد الفرد أنه هو والحياة سواء بسواء ، ومن الخير له
أن يكون في عداد الأموات إذا لم يحققه ، أو بعبارة أدق يجب أن
يعتقد أنه لن تستقيم له الحياة ولأحفاده من بعده ولبنى جنسه ، إلا
إذا حقق هذا الهدف ، وعلى ذلك فعندما يذهب إلى الحرب أو يدلع
لهيب الثورة ، فعليه أن يعتقد :

إما إلى نصر مؤكد ، ففوز وراحة ، وتحقيق لغرضه .
وإما إلى موت ، يحفظ للنفس كرامتها .

٥٤ — الموت والحياة في نظر الثورة

ولكن .. ما أظلم الحياة الثانية : أترك هذه الحياة ونعيمها إلى حياة
لا أعرف مداها ولا أرى كنهها !!!

ولكن عائلتي وزوجتي وفلذات أ كبادى ، لمن أتركهم ومن يعولهم؟
 إذا فعلى القائد أن ينير له الحياة الثانية ، ويؤكد له الجنة ذات
 الدرجات ، ففيها الراحة والسعادة ، فيها هذا المتاع الذى يطلبه وكل
 اللذائذ الروحية التى يطمع فيها ويصبو إليها .
 أما عائلته وزوجته وفلذات أ كباده فى حى محمد ورعايته ،
 وعطف إخوانه المجاهدين ، ينالهم النعيم المادى .. والأدبى ، أكثر مما
 لو كان حياً .

إذا ليجب الموت أكثر من حبه للحياة !!
 ومن أحب الموت فقد وهبت له الحياة (١)

٥٥ — أثر القيادة فى انتزاع النصر

« بعض أسباب الانتصارات الإسلامية ،
 إذا إلى الميدان وجميع المجاهدين وانقون من النصر ، فقد وعدهم
 الله به على لسان محمد والله لن يخلف وعده ، ولأن محمداً قد قال لهم :
 ستأكلون من ذهب كسرى وقيصر ، ومحمد هو الصادق أبداً ، الأمين
 دائماً ، ولأن الحياة الدنيا بدون هذا النصر لا قيمة لها .
 والآن هذا هو طريق الحياة الدائمة ، والنعم السرمدى .
 فها هو عمير بن الحمام الأنصارى ، حينما كان يقاتل فى موقعة بدر ،
 ويسمع محمداً يرغب فى الجنة ، يرمى بتمرات كان يأكلها قائلاً :
 « بئس بئس ... أما بينى وبين الجنة إلا أن يقبلى هؤلاء ، وظل
 يقاتل بشدة حتى قتل .

(١) أبو بكر من خطبة له

إذا إلى الميدان... وهم مستعدون للموت، فيتطهرون ويلبسون
ثيابهم النظيفة كأ كفان لهم ، ويوصون بما يريدون، حتى إذا حضرهم
الموت وجدهم على استعداد لملاقاة ربهم .

إذا إلى الميدان ... بقلوب متراصة زاحفين كالبنيان المرصوص
« ومن يول يومئذ دبره إلا متخوفا لقتال ، أو متحيزاً إلى فئة ،
فقد باء بغضب من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير . »

٥٦ - الفرائية بين القائر وحنوده

إلى الميدان... وقائدهم يحنو عليهم كفذاً أ كباده، شاعرين أنه
يوده أن يلقى الحرب بنفسه ، ويفديهم بروحه ، ونصيبه في الحياة
كنصيبهم ، بل أقل عند المغانم وأشد عند المغارم ، لا يميزه عنهم
ميزة ، إلا أنه يجمع كلمتهم ويوحد رأيهم ، فهذا عمر بن الخطاب
يزور خيمة أبي عبيدة بن الجراح في حرب الشام فلا يجد بها إلا
واحدة ناقته « بردعتها » يستعملها على ظهرها في الحرب نهاراً ،
ويقترشها عند النوم ليلاً .

فيقول : هكذا يجب أن يكون زعماء المسلمين !

٥٧ - حنود الاسلام يؤثرون على أنفسهم

إلى الميدان... وهم يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة .

فهاهي الحرب وقد وضعت أوزارها في غزوة أحد فإذا بالساقى يبدأ

بأحد الجرحى فيقول له : اسق الثاني فهو أشد منى عطشاً ، ولكن الثاني يقول مقالة الأول تاركا الماء للثالث ، وهكذا حتى يصل إلى الأخير وهو الأربعون ، فإذا به يقول له : عليك بالأول فهو أولى منى ، فيرجع الساقى إلى الأول فيجده قد فارق الحياة ، فيسرع إلى الثاني والثالث حتى يصل إلى الأخير ، فإذا بهم جميعاً قد فارقوا الحياة !

٥٨ - **الدببة ومرة لا تجزأ ولزأ فهو يمتشى مع ضرورات الحرب**
وهم عندما يغرقون في الحرب إلى أذقانهم ، نجد قلوبهم عامرة بالإيمان ، فلا ينسون الله حتى لا ينسأهم ، فهو الذى سيحقق لهم حتما وعده ، ولكنه يبلوهم ويختبرهم ، فليصلوا إلى الله فوق سروجهم وعلى ظهور خيلهم ركباناً ، وليؤمهم الإمام ، وهو قائدهم في الحرب كما هو قائدهم في الصلاة ، فهذا صف قائم وآخر ساجد ، فهم يحاربون لأجل الله فلا ينسون تعاليم الله ، فيحققون بعض أركان الدين ، وما الجهاد إلا نوع منه ، وينسون الركن الثانى وهو الصلاة ، فالدين كل لا يتجزأ ، ولهذا شرعت صلاة للحرب تتلاءم مع نظام الحروب وقسوتها .. وهكذا فالدين خاضع لنظام الحياة ، وليست الحياة خاضعة لنظام الدين .

٥٩ - **أهداف الإسلام من الحرب : الطاعة والنظام والرفاء**
ولهذا شرع الإسلام :

١ - الصلاة : فهى فى الإسلام فضلاً عما لها من آثار روحية

نوع من التنظيمات العسكرية والتدريبات الجسمية : فهي حركات منظمة ، وجسوم وأفكار مرتبطة بقائدها ، لا تتحرك إلا إذا أمرت ، ولا تنبس ببنت شفة إلا إذا أذن لها ، طاعة ونظام ، تدريب حتمي كل يوم خمس مرات ، تبدأ من الفجر حتى يستنيم الناس ثانية في مراقدهم .

ب — صلاة الجمعة : وهناك اجتماع عام كل أسبوع حين صلاة الجمعة ، إذ يجب على كل فرد أن يحضره شخصيا ، كما يجب أن يخطبهم القائد أو الحاكم في شئونهم العامة ، زراعية كانت أو تجارية أو صحية أو تعليمية أو ...

ج — الحج : وهناك كذلك اجتماع - سنوي عام حين الحج - لهيئة الأمم الإسلامية ، إذ يجتمعون في قلب الجزيرة العربية بين الشمس المحرقة ، والصحراء اللافتحة ، والأرض الجرداء القاحلة ، وحينئذ يتحتم عليهم أن يتجردوا من ثيابهم العادية ، ويلتحفوا بقطعة بسيطة من قماش ، كما يجب عليهم أن يفعلوا ما يطرأ أفكارهم من الدنس ، وجسومهم من الضعف ، ونفوسهم من الرياء ، ويتناقشون في أحوالهم العامة الإسلامية وأمورهم السياسية ، ويتعهدون على دفع الضرر وجلب الخير ، فهو اجتماع سياسي عام من أمم الإسلام ، وتدريب حرى عام يشهد فيه ساعد رجالات المسالين .

د — الصيام : أما أثر صيام رمضان في النفس وفي الجسم فهو أبرز من أن تعدد فضائله ، وأوضح من أن تبرز مزاياه .

هـ — الزكاة : أما الزكاة فقد تقدم أثرها في فلسفة الإسلام الاقتصادية ..

٦٠ — المحارب الوارث على الإنسانية

أما وقد قرب النصر، فزى المسلمين المحاربين يفدون
الطفل الصغير، والشيخ الكبير، والمرأة المسالمة، وهامو ذائقهم
يواسي الجرحى، وهامو أولاء الجنود الأشداء يقومون بخدمة المرضى،
بينما يلفظون النفس الأخير قائلين: بجلنا إليك ربى لترضى، هنا ينطلق
جنود الإسلام يجمعون موتاهم ليصلى عليهم القائد الإسلامى،
والمسلمون من ورائه فى خشوع وتضرع وابتهاال، وهم يتمنون
أن يكونوا مثلهم إذ « لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل
أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم » .

كما ترى محمدا عليه السلام يجمع أعداءه ويفور لهم القلب ليدفنهم،
فهم، إخوان له فى الإنسانية، إذ قرآنه يقول : ولقد كرنا بنى آدم .

٦١ — الجزاء المعنوى والمادى للمحارب الوارث

أما وقد تم النصر فها هو الثواب المعنوى قد حصل عليه، إذ
أرضى الله ففشر دينه، وأرضى محمداً فأسس دعوته، وها هو أيضاً يجنى
الثراء العاجل فكم فى الناس - وذلك من طبائع البشرية - من
أشخاص لا يهتمهم إلا اللقمة يسعدون بها بطونهم، بقدر ما يسعد
الأشخاص الآخرون بالمبادئ العليا نفوسهم :

١ — فمن قتل قتيلا فله سلبه .

ب — وللراجل سهم ، وللفارس سهمان ، مما غنموه من الحرب ، حتى أن الواحد منهم في إحدى المواقع أصابه ثلاثون ألف درهم من الذهب كما رواه ابن خلدون .

فترى الجندى يرجع إلى أولاده وقد رمى الدهر في كبده ، والفقر في فؤاده ، يرجع وقد أَرْضَى ربه ونفسه : أَرْضَى ربه فأعلى كلمته ، وأَرْضَى نفسه فضمن لها الثواب المعنوي في الآخرة ، وتأبط الجزاء المادى في هذه الحياة الدنيا .

٦٢ — المسلمون الفاتحون يعيشون للمسلم والحرب معاً

أما وقد تم النصر فيعسكر المسلمون خارج المدينة ، ويظنون في خيامهم محافظين على عوائدهم وتقاليدهم ، فلا يختلطون بأهلها حتى لا تفسد الطبيعة الحربية فيهم ، وحتى لا يؤثر في تقاليدهم وصحتهم وعاداتهم وخم المدينة وترف أهل المدينة ، وحتى لا يفسدون على الناس راحتهم ، وطمأنينتهم ووسائل معاشهم ، وحياتهم الخاصة والعامة ، فهم جاليات معسكرة وطنت نفسها على أن تعيش لالحرب فقط ، ولكن للسلام أيضاً ، فتباشر وسائل العيش والبقاء والاستقرار ، حتى إذا ما ثار البلد ضدهم كان لهم معونة داخلية ، ومعركة بأحوال البلد وطرقها وتقاليدها ، وكانوا على استعداد لخمد شوكتهم .

ولهذا فهم على استعداد دائماً وأبداً ، قاعدتهم : « وأعدوا لهم

ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم ،
وأخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في
سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون »

أى أن دستورهم الاسلامى يحتم عليهم أن يعدوا ما استطاعوا إليه
سبيلا ولا حد للاستطاعة ، فقد تشمل المال والنفس والولد وكل
شيء فى الوجود ، فكل ما يمكن أن يحشد للحرب يجب أن يعطى
للحرب ، إن طوعا وإن كرها ، وهم مصارون مرابطون فى الثغور .
« يأياها الذين آمنوا ؛ اصبروا وصابروا ، ورابطوا ، واتقوا
الله ، لعلكم تفلحون » .

٦٣ — منه اهداف الاسلام فى الحرب تحقيق : الحرية والعزل

والمساواة

نعم : أما وقد تم النصر « فالناس كما خلقهم الله أحراراً يحب
ألا يستعبدهم إنسان » (١) . ولهذا يجب أن يظلمهم العدل والحرية
والمساواة بين المسلمين وبعضهم وبين غيرهم من المسلمين كذلك :

١ — الاسلام ومعاملته لمخالفيه فى الدين

فان كانوا أهل كتاب : ففهم للإنسانية خير « فان أسلوا فقد
عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها » وأصبحوا هم والعرب سواء بسواء
إذ « لا تفاضل بين عربى وعجمى إلا بالتقوى » يتزوجون منهم
ويصادقونهم ، ويولونهم أمور الدولة حسب كفايتهم ، وقد يكون
منهم الرؤساء والولاة والعمال على الأقاليم ، وإن لم يسلموا فيجب

(١) عمر بن الخطاب من خطبة له

« أن يعطو، الجزية عن يد وهم صاغرون » وتؤخذ من الرجال البالغين الكسوبيين، ومقدار هادينار^(١) عن الفقير وديناران عن المتوسط وأربعة عن الغني، وهى أخف بكثير من الضرائب التى كان يفرضها الرومان فى ذلك الوقت^(٢) يدفعونها لهم لأجل المحافظة عليهم من إغارة عدو خارجى، ولأجل نشر السلام بينهم والمحافظة على أرواحهم ونفوسهم وعقائدهم وتقاليدهم وتركهم أحراراً يباشرون أمورهم فى أمن وسلام.

ب — ومن لادين له فلا خير فيه أبداً.

وإن كانوا غير أهل الكتاب فيما : إسلام فيصبحوا كالعرب سواء بسواء كما تقدم ، وإما حرب مبيدة ، حيث لا يرجى منهم للجمع فائدة ولا للإنسانية منهم منفعة ، لأن من لادين له فلا خير فيه ، ومن لم يعمر قلبه بالإيمان والخير لله وللإنسانية ، فلن يرجى منه صلاح ، وكل عضو فى الإنسانية أو فى جسدك يضرك أو لا يرجى منه خير ، فتجب إبادته حتى تصح بقية الأعضاء .

٦٤ — شعار المسلمين السيف للحرب والعلم للسلام

ولكن الحرب كانت لغاية سامية ، هى نشر الدين وثقافة الإسلام، وغرس روح الإخاء والمساواة .

إذاً فليسيح العرب فى الأرض، ولينشروا الدين الجديد، وليجادلوا

(١) يساوى خمسين قرشاً

(٢) دوزى « Dozy » المؤرخ الهولاندى

بالتى هي أحسن ، ويعلموا ويهذبوا وينشروا الثقافة واللغة ، فغرس ثقافة أمة بين أمة أخرى أجدى وأنفع لها من نشر المعسكرات وحكمها بقوة السلاح ، لأنه بعد قليل وقد جمعك بالبلد المفتوح الثقافة والدين والشعور والإحساس . تجده وقد تحمس لمبدئك أكثر منك ، مادمت واثقاً من قوة المبدأ وصلاحيه الفكرة للبقاء والدوام ، تجده وقد أصبح مسلماً أكثر منك وهذا ما حصل بالفعل ، فهذه مراكز الإسلام وعواصم الثقافة الإسلامية قد انتقلت من شبه جزيرة العرب في مستهل القرن الثامن وقت أن أسست الدولة الأموية - إلى دمشق الشام ثم إلى بغداد العراق وتلتها القاهرة مصر ثم تركزت في استامبول تركيا و . . . وها هي اللغة العربية يتشقق بها ٢٥٠ مليوناً من المسلمين ، كما يحمل لواء الإسلام ويخضع له ٤٠٠ مليوناً من المجموعة الانسانية ، مع أن الدولة الإسلامية قد خمدت ، والسلطة العربية قد ركدت واضمحلت من الوجود .

٦٥ — واجب على كل مسلم الدفاع عنه بدار الإسلام

هذه البلدة المفتوحة ، وتلك الدولة التى خضعت للإسلام ، تصبح جزءاً لا يتجزأ من بلاد الإسلام ، فهى ومنبت الإسلام سواء بسواء ، فإذا ما أغار عليها مغير وجب أن يهب جميع المسلمين لرد الإغارة ، ويصبح هذا فرضاً عينياً وشخصياً على كل فرد بدون أن يدعو إلى الجهاد داع ، وبدون أن يأمر به أمر ، لأن هذه التلبية الحتمية الشخصية قد أقرها على نفسه عندما قال كلمة الاسلام .

فيصبح حتما على كل شخص قادر على حمل السلاح أن يحمله ،
ويصبح فرض على كل شخص علم بهذه الإغارة أن يحشد لها كل
ما يملك من نفس ومال وولد ، حيث تكون وقوداً لتلك الحرب ،
وحتى تصبح كلمة الله هي العليا وكلمة المشركين هي السفلى ، وتصبح
هذه الإغارة أو ذلك الاستعمار بمثابة إعلان حرب بين المسلمين
وبين أعدائهم ، ولا تنتهي حالة الحرب هذه إلا بشيء واحد لاثنائي له :
هو جلاء المغيرين ، وارتداد المستعمرين عن أرض الإسلام ، جلاء
تاما بلا قيد ولا شرط يقيد حريتهم ، بكل ما للحرية من معان
وتصورات وتخيلات « إذ ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

٦٦ — أسباب الحروب الإسلامية

لهذا كانت أسباب الحروب الإسلامية هي :

١ — حرب لحماية المجتمع الإسلامي

وهي حرب للدفاع عن البيئة والمجتمع ، ولإبادة المنافقين المتذبذبين
الذين هم أعوان المستعمرين يصادقونهم ويوادونهم أيا كان نوعهم : مسلمين
أو ذميين ، حيث الدستور الإسلامي وهو القرآن ينص على أنه :
١ — أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير .
٢ — وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو
ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم
للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

٣ — سيجدون آخريين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ، كلما ودوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم ، نخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتهم ، وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبيناً .

٤ — يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم .

(٥) وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء .

ب — حرب لحماية الدين الاسلامي وتثبيت قواعده ، وحماية أرضه وممتلكاته ، حيث الدستور الاسلامي ينص على :

١ — وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم .

٢ — انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا في سبيل الله .

٣ — إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً .

٤ — إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون

ح — حرب لنشر الدين الاسلامي وتأمينه ، وجعل كلمة المسلمين هي العليا ، فيصبحوا أحراراً بكل ما للحرية من معان . حيث الدستور الاسلامي يقول :

(١) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

(٢) قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون

ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

٣ — فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم ، فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها

٦٧ — المعاهدات بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية

ولما كان الدفاع عن الدين الإسلامي وتبليته وحماية بلاده من الأسباب التي توجب الحرب كانت معاهدات الإسلام تخضع لحالتين :

أ — المعاهدات حين الحرب : وهذه أشبه بهدنة مؤقتة يترك فيها الحرية للأمة المعادية ، ولا تقيد حرية الأمة الإسلامية بشيء ما يجعل للأمة الأخرى عليها ولاية أو سلطاناً كما حصل في صلح الحديبية

ب — المعاهدات بعد الحرب : وهذه لا تكون إلا بإعلاء كلمة الإسلام ، أى بإسلام المحاربين أو بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون ، وهؤلاء يجب أن توفى عهودهم (١) ولا تنقض أيمانهم (٢) ويجب أن يخضعوا للحكومة الإسلامية ، ومثلهم تماماً كمثل الذين دخلوا بلاد الإسلام ، ولو لمدة قصيرة ، زيارة أو تجارة أو إقامة ، فتجرى عليهم هذه الشروط الأربع الآتية :

(١) دفع الجزية عن صغار واستكانة وطاعة وخضوع

(١) وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم

(٢) ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها

(٢) أن تجرى عليهم أحكام الاسلام العامة مع خضوعهم لنظمه العامة كذلك .

(٣) ألا يذكروا دين الاسلام إلا بخير .

(٤) ألا يعملوا مافيه ضرر للمسلمين مادياً وأدبياً .

هل صلتنا الاله بامول غير الاله المميزون عابا لهم صلة مهرب

أو صلة سلام وأمانه ؟

فإن لم يدفعوا الجزية مع الصغار والاستكانة كما هو موجود بجميع بلاد الإسلام ، أو لم يخضعوا لأحكام الاسلام ، بل طالبوا بمحاكم تقضى بينهم وبين المسلمين « كما في المحاكم المختلطة بمصر » ، أو ذكروا دين الإسلام بشر بأن طعنوا فيه . أو سفهوا كبار رجال الإسلام « كما تفعل المدارس التبشيرية بمصر والبلاد الإسلامية » أو سلكوا سبيلا غير مشروع في الإسلام ، كأن زاولوا الربا أو الميسر ، أو يبيع الخمر أو نشر الدعارة « كما هو موجود بمصر وبلاد الإسلام الآن » ، أو فعلوا مافيه ضرر للمسلمين بأن أحدثوا كنائس جديدة ، أو رفعوا البناء فكشفوا عورة المسلمين ، أو منعوا الهواء ، أو ضايقوا المسلمين في سبل معاشهم المالية والتجارية والزراعية و . . . و . . . « كما هو موجود بمصر وبلاد الإسلام » ؛ لو فعلوا ذلك فقد انتقض عهدهم ولو شرط الامام لهم فيه ذلك ، ولو ضمنت هذه المستحدثات معاهدات ، فإن هذا نقض لأس من أسس الإسلام « ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » فوجب قتالهم بل لا

يجب أن يبلغوا المأمن ، ولا يختار منهم رق ولا من ولا فداء (١) .
وتصبح الصلة حينئذ بينهم وبين المسلمين صلة حرب لا صلة
ذمة وأمان .

٦٩ — المعاهدات الحالية في نظر الإسلام

وعلى هذا فالمعاهدات التي بين دولة إسلامية ، وبين دولة غير
إسلامية ، مستعمرة كانت أو منتدبة أو حامية أو حافية ، « لفظاً »
مشروط عليها من جانب هاته الأمة غير المسلمة : ألا تفعل شيئاً
خارجياً إلا بإرادتها ومشورتها ، مشروط عليها أن تبديها في معاملتها
تجارياً أو حريباً عن أية دولة أخرى ، فهي معاهدات لا يقرها الإسلام
بحال ما ، ولو اشتركت في إمضاؤها هذه الدولة الإسلامية . لأنها إما
أن تكون وقعها تحت الضغط والإكراه ، والمسكره لا يلتزم باحترام
ما أكره عليه « حيث أنه : رفع عن أمتي ثلاث : الخطأ والنسيان
وما استكرهوا عليه » وإما باختيار ورغبة ، وهذه بحال ما ، لا يقرها
الإسلام حيث « ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سيلاً » .

وعلى هذا فتصبح الصلة أيضاً بين هاتين الأمتين المتعاهدتين ،
صلة حرب مشروعة لا صلة ذمة وأمان ، وتصبح هاته الدولة غير
المسلمة دولة محاربة ، وأفرادها محاربون خاضعون لخصائص الحرب .

(١) الفتاوى : الأم للشافعي ، المنهاج للخطيب : باب الجهاد .

٧٥ - ملزمات المسلمين هامة الحرب

١ - يجب على كل مسلم وجوباً عينياً شخصياً، أن يقدم نفسه وماله وأولاده وعلمه، لإجلاء المستعمرين وإعلاء كلمة الله ، وتكون صلة الحرب حينئذ سبباً من أسباب النفي العام الذي يستلزم التجنيد الإجباري، وكل شخص مطالب بفعل ما قدر عليه من الحيل والسبل والطرق الممكنة ، وكل شيء يؤدي إلى إعلاء كلمة دولة الإسلام فهو مشروع حينئذ ، فالقتل ، والتعذيب ، والسرقه ، والتجريق ، والتهديم والتخريب ، وتقطيع الأشجار جائز في ذلك الوقت بل واجب^(١) ويعتبر سبيلاً مشروعاً لإنهاء أجل الحرب وللوصول إلى النصر : واجب لا للسرقه نفسها ، ولا لشهوة القتل نفسه ، ولا . . . بل للنكاية والإضرار بالعدو .

وكل شخص قدر على فعل شيء مما تقدم ، يؤلم الدولة المعادية ولم يفعله ، فهو آثم ، لم يقم بفرض عيني : كالصلاة والزكاة وصيام رمضان ؛ وبعبارة أخرى استحق عقاب الله ، وبعد عن الإسلام بقدر ما نبذ أو كانه ظهرياً ، ويصبح كمن ولى الأديار وقت الزحف ، جزاؤه القتل ، حيث باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وهذا الذي تقدم هو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله .

(٢) هذا الجهاد فرض عيني : معنى ذلك أنه إذا قام به جيش فلن

(١) الأم للشافعي ، الفتاوى ، البحرى على المنهاج

يكفي في درء العقاب عنك، وإذا قامت به دولة أو رئاسة فلن تخليك من الواجب عليك، بل إذا أمرك القائد أو الحاكم أو الزعيم - ولو كان القائد الديني - بعدم فعل شيء مما تقدم، فلا يحترم رأيه لأنه تماماً، كمن يأمرك بعدم الصلاة، وكمن يأمرك بطرح أحكام الإسلام ظهرياً، وكمن يأمرك بتغيير ألفاظ القرآن، حيث يلزمك بأن تجعل للكافرين على المؤمنين سيلاً، حين أن « ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سيلاً » و « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

٧٦ - كل شيء جائز بل كل ما يمكن عمده واجب هامة الحرب

١ - القتل اغتيالاً

١ - فها هو كعب بن الأشرف اليمودي من طيء يحرض قريشاً والعرب على المسلمين، ويتشعب بنسائهم فقال النبي: « من لي من ابن الأشرف؟ » فقال محمد بن مسلمة الأنصاري! « أنالك به يا رسول الله! أنا أقتله » قال: « فافعل إن قدرت على ذلك » فقال: « يا رسول الله: لا بد لنا من أن نقول » قال: « قولوا ما بدا لكم فأتتم في حل من ذلك » فبعث ابن مسلمة أحد أعوانه وهو سلكان ابن سلامة إلى الأشرف، وأخذ يذم محمداً والمسلمين، حتى أمن له، وطلب منه أن يبيعه طعاماً ويرهنه سلاحاً له هو وأصحابه ثم رجع واجتمعوا عند رسول الله وكانوا خمسة فمشى معهم رسول الله إلى بقيع الغرقد. ثم وجههم وقال: « انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم! » ثم ساروا وكانوا ليلاً حتى انتهوا إلى حصن

ابن الأشرف، فشفق به زميلهم أبو نائلة، فنزل إليهم وتحدث معهم ثم قالوا له : هل لك يا ابن الأشرف في أن تتماشى إلى شعب العجوز ؟ « خارج المدينة » فمشى معهم. ثم إن أبا نائلة مس فود رأسه بيده متظاهراً بشمها لأنها كانت معطرة ، وفعل ثانية وثالثة حتى أمن له كعب ، ثم أخذ بفودي رأسه بقوة وقال : اضربوا عدو الله فضر به بسيفوفهم فلم تغن شيئاً ، فوضع محمد بن مسلمة سيفه في ثدوته ثم يقول ابن مسلمة : تحاملت عليه حتى بلغ عاتقه ، ووقع عدو الله على الأرض ، وجريماً حتى أتينا رسول الله ، وكان قائماً يصلي فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله ، فدعانا وبشرنا بالجنة .

ف — فلما أصبح الصباح وسمعت اليهود خاف كل على نفسه ، فقال رسول الله : من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سيئمة « رجل من اليهود كان يلا بسهم ويبايعهم » فقتله (١)

ح — وها هو ذا كعب بن رافع بن أبي الحقيق اليهودي أيضاً كان يظاهر كعب بن الأشرف ويؤذى رسول الله فاستأذن الخزرج رسول الله في قتله ، فأذن لهم فخرج إليه جماعة منهم وأمر عليهم رسول الله بن عتيك ، فأتوا داره بخبير وكانوا ليلاً فأغلقوا أبواب الدار على من فيها ، ولما وصلوا إلى حجرته استأذنوا فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : نفر من العرب يريد الميرة قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، يقول عبد الله : فلما دخلنا أغلقنا الباب عليها وعلينا وعليه ، وابتدرناه بسيفونا وهو على

فراشه ثم تحامل عبد الله على سيفه في بطنه حتى أنفذه ، ثم خرجوا
ولقوا رسول الله وأخبروه الخبر ، وكانت ساق أحدهم قد كسرت ،
فدلّكها رسول الله بيده مبشرا إياهم بالجنة (١) .

٢ — التهديم والتخريب .

فهاهو نفر من المنافقين يجتمعون في بيت بعض اليهود فيأمر
طلحة بن عبيد الله أن يخرب عليهم البيت فخرّبها (٢) .

٣ — إتلاف الأشجار وحرّقها .

وهاهم المسلمون يحاصرون بني النضير ست ليالٍ فيتحصنون منهم
بالحصون فيأمر النبي بقطع النخيل وإحراقها (٣) .

٤ — قطع الطريق .

وهاهو النبي بنفسه يقود السرايا ، وبيعثا لقطع الطريق على تجارة
قريش ، وأخذ ما قدر عليه من تجارتها ، وهي غزوات وسرايا كثيرة

ملى بها التاريخ الإسلامي

٥ — فرق تسد .

فهاهو نعيم بن مسعود الغطفاني ينسل إلى رسول الله في غزوة
الحنديق من بين صفوف الأحزاب ويخبره بإسلامه ، فيقول له الرسول :
إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فالجرب خدعة ، فذهب
نعيم إلى الأحزاب وأخذ يخذلها ويفرق بينها ، ويقول لهؤلاء كلاما ،
ويقول للآخرين ما يناقضه (٤) .

(١) الطبري ج ٣ ص ٧ (٢) ابن خلدون ج ٤ ص ٤٩

(٣) سورة الحشر وابن خلدون ج ٢ ص ٣٠ (٤) ابن خلدون ج ٢ ص ٢٨

٦ — التعذيب بالعطش ومنع الماء .

فما هو الحجاب بن المنذر يأتي إلى رسول الله عندما تزل بأدنى ماء بيدر « في غزوة بدر » ويقول له : أُنزل أنزل كما الله أم قصدت الحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول : بل هو الرأي والحرب فيقول الحجاب : ليس هذا بمنزل ، وإنما تأتي أدنى ماء من القوم فنزله ، ونبنى عليه حوضاً فتملؤه ونغور القلب ، فنكون قد منعناهم من الماء ، فاستحسنه الرسول وسمع له .

٧ — السرقة

فمن غنائم المسلمين ما أخذ من مال الأعداء سرقة أو اختلاساً (١)

٧٢ — محمد رسول الله ومو — دولة .

مامعنى ما تقدم ؟ هل محمد يغتال الناس في أمنهم وقرآنه يقول : ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ؟

هل محمد قاطع طريق ، وقد شرع بأن تقطع يد قاطع الطريق ورجله من خلاف ؟

هل محمد يأمر بالسرقة ، وقد شرع بأن تقطع يد السارق ؟

هل محمد يعذب الناس بالعطش وهو الذى سقى كلبا يلهث بيديه

من البر وقال : إن في كل كبد رطبة أجر ؟

هل محمد يفرق الكلمة ودستوره يقول : واعتصموا بحبل الله

جميعاً ولا تفرقوا ؟

(١) بحيرى على الخطيب ج ٤ ص ٢٥٧

هل محمد يأمر بقطع الأشجار ، وهو الذى يقول : من غرس
شجرة فله ثواب من استظل بظلها إلى يوم القيامة ؟؟
وأخيراً ها هو القرآن يقول : « ولا تعتدوا إن الله لا يحب
المعتدين » .

ما معنى هذا إذا ؟؟ ما هذا التناقض ؟؟ فالأخبار الأولى لا ريب
فيها ، وصحيفة كصححة الأخبار الثانية !! أجل !! فحمد ليس برسول
الله فقط ، ولكنه مؤسس دولة ، ومشروع دعوة ، وقاضى أمة !
إذن هو قاض ينظر إلى القضية وملابساتها ، وظروفها يفحص
الدوافع والأسباب ، ويقدر كل شئ قدره ، فهو عندما يقول لا
تعتدوا ، يريد : لا تبدأوا بالاعتداء ، ولكن : ردوا الاعتداء فلکم
في القصاص حياة ، وهو عندما يقول : لا تقتلوا النفس التى حرم
الله ، يريد أنه بالحق يجوز لكم قتلها !!

هو مؤسس دولة ودعوة ، يريد حماية الأولى ونشر الثانية ، وكل
شئ يقف في طريق هذه الدولة وفي سبيل تلك الدعوة ، فلا بد وأن
تعالج إزالته بالتى هى أحسن رغبة ، وإلا فبالقوة رهبة .
وألست من حق محمد أن يكون قاضياً فيأمر بقتل هذا لأنه يستحق ؟
ويأمر بتعذيب ذلك لأنه يجب أن يجازى على ما فعل ؟
ألست القتل والتعذيب وكل أنواع الجزاءات البدنية والأدبية ركناً
أساسياً من أركان القوانين الحديثة والقديمة التى تظل الإنسانية الآن ؟
ألست الذى يحكم بالقتل والتعذيب الآن هو القاضى ، وما هو

إلا فرد عادى من على سبيل القضاء ؟ وهل تشتك شر على محمد أن يكون مثل ذلك القاضى العادى وهو قد فعل ما فعل لا لشهوة فى نفسه . ولكن لهدف سام يريد تحقيقه وهانحن نلسه الآن ؟ ، . . . هل تبيح لفرد عادى أن يتحكم فى رقاب الناس ، ولا تبيح لمحمد أن يقضى بما يراه وهو الذى لولا ما فعل ما استظل بلواء الإسلام ٤٠٠ مليون من البشرية ؟ !

هل تجيز لفرد أن يحكم ويأمر بين الناس ، ولا تجيز لمؤسس دولة ودين أن يحكم بين الناس بما يراه ؟ وهو الذى نفخ العالم بهذا الذين العظيم ، الذى يدين به $\frac{1}{4}$ المعمورة ، مع ضعف دولته وخمود سلطانه ، وهو الذى أهدى إلى الانسانية وجالا حملوا من قلب الصحراء العربية مشعل الثقافة ، فأضاءت العالم أجمع ، وأدت رسالتها فى أمن وسلام ، ولا زالت ولن تزال تلك الحلقة الإسلامية تلمع وتتألا فى سلسلة تمدن الانسانية وتحضر العالم .. حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٧٣ — أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم

ولكن كيف توفق بين طاعة أولى الأمر وهى واجبة بعد طاعة الله وطاعة الرسول ، وبين ما ذكر فى ٦٨ فقرة ٢ من حل عدم طاعة أولى الأمر ؟ !!

نعم !! أطيعوا الله أولا وبين يديكم كتابه ، وأطيعوا الرسول ثانيا وهو الذى يشرحه ويفصله ، وأطيعوا أولى الأمر ثالثا حيث كانوا قوامين على الكتاب والسنة .

١ — طاعة الله أولاً ، وطاعة الرسول ثانياً ، وطاعة أولى الأمر ثالثاً، بمعنى أن أولى الأمر لو طالبونا بشيء يتعارض مع ما شرعه الله وشرعه الرسول، فلا تلزمنا طاعته لأن ما شرعه الله والرسول في المرتبة الأولى والثانية، وما شرعه أولو الأمر في المرتبة الثالثة ولكن من الذى يحكم بينكم وبين أولى الأمر ، ولك تأويلك ورأيك ، وله حجته وفكره ؟ يحكم بينكما اجتهدك ورأيك وعقلك ، ولا يقبل منك أن تسير وراء غيرك « ولتنظر في أمر دينك فإن التقليد لغير المعصوم مذموم ، وفيه عيب للبصيرة » (١)

وها هو الامام الشافعي يقول للربيع : يا أبا إسحاق لا تقلدني فيما أقول وأنظر في ذلك لنفسك فإنه دين .

فإذا ما رأيت بفكرك على ضوء الكتاب والسنة، أن أمر أولى الأمر يتعارض مع القرآن والسنة وفعل الرسول وإجماع الصحابة، فلتطرحه ظهرياً، ولا حرج عليك في ذلك بل تكون آثماً إن أطعته فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٢ — قيد الدستور الإسلامى أولى الأمر بأن يكونوا « منكم ، أى من جنسكم ، وباختياركم ، ورغبتكم ، وبإجماع أهل الحل والعقد منكم ، يشعرون بشعوركم ، ويحسون إحساسكم ، يستمدون قوة منصبهم منكم لا من أعدائكم ، يستوحون في تنفيذ أحكامهم كتابكم وقوانينكم ومصالحكم ، لا قوانين غيركم ومصالح سواكم .

فإذا ما كانوا ليسوا منكم أو ليسوا باختياركم ، ولو كانوا

صالحين عادلين فأتتم في حل من عدم طاعتهم .. بل عصيانهم واجب حينئذ .

٧٤ — أمن معذرة اذا كنا مغلوبين على أمرنا ؟

ولكن إذا كان المجتمع الاسلامي مليئاً بالمفاسد والآثام ، يريز تحت عبء الضعف والاستسلام .. ولكن إذا كنا مغلوبين على أمرنا ، القوة تحكمننا ، والرغبة تخضعنا ، إذا ما ثرنا حصداً حصداً ، وإذا ما تحركنا خمدت أنفاسنا خمداً ، وأزهقت أرواح أولادنا وآلنا إزهاقاً ، وبددت أموالنا وكسدت تجارتنا وخربت بيوتنا .

وهاهم إخواننا ضدنا مع عدونا ، وأبناءؤنا من بني جنسنا أعوان للمستعمر ، لنشر كلمته وإعلاء رايته ، ولو كان في ذلك خفض لراية الإسلام ، وتسفيل لكلمة الله (١) .

فهل نلتقي بأيدينا إلى التهلكة حيث لا تقبل منا معذرة ؟ أم هل نكون مع من قال الله فيهم ؟ : قل إن كان آباؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترموا بها ، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لايهدي القوم الفاسقين .

(١) وقد تقدم لك في ٦٥ رقم ٤٠١

أن أمثال هؤلاء المسلمين يعتبرون هم وتلك الدولة غير الاسلامية التي يساعدونها، سواء بسواء حيث تولوهم « ومن يتولهم منكم فإنه منهم »

فلسفة الثورة في الاسلام

أو

٧٥ - الهدف الفلسفي لدولة الاسلام

بعد كل ما تقدم أظنك تؤمن معي بأن الهدف الاسمي للاسلام هو خلق مجتمع صالح يعيش في أمن وسلام .. خلقه وإيجاده لا كنظرية خيالية ولكن كحقيقة عملية ، يشرع لتأسيسها ، ويسوس الناس لتحقيقها ، والعنصر الهام بل الوحيد لضمان صلاح المجتمع ، وتقدم الإنسانية هو : طمأنينة الناس في معاشهم وحياتهم حتى يتفرغوا لعمران الإنسانية وتمدن العالم . أو بعبارة أخرى لأجل أن نضمن للناس طمأنينتهم ، ونكفل للمجتمع تقدمه ، يجب أن يسوده العدل ، ويسوسه الحق إذ العدل أساس العمران .

٧٦ - الحق واحد ومعنى ولكنه نوعان

ومن البديهي أن الحق في هذا العالم كمعنى هو واحد لا يتغير ، ولكن بإنعام النظر نجد أن الحقوق تندرج تحت نوعين :

١ - الحق الطبيعي : وهو الذي تخلقه القوة ، وتبرهن على أحقيته القوة ، أو بعبارة أخرى الحق في الطلب هو القادر على تنفيذه ، فالقوى يبذل الضعيف لأنه أولى منه بالبقاء حيث هناك سبب قوى يجعله أقدر على البقاء منه ألا وهو القوة .

إذن هذا الحق الطبيعي هو والقوة لفظان مترادفان .

ب — الحق الإنساني : وهو الذي يخضع لتقاليد الشعب وخصائصه وعاداته وديانته ولهذا تجده يختلف باختلاف الشعوب والأقاليم والديانات والأزمان . (١)

فالعرب مقتنعون بأحقيتهم في طرد اليهود من فلسطين لأنهم دخيل خطر على العنصر العربي ، و.. واليهود مقتنعون بأحقيتهم في البقاء أحراراً فآله خلقهم أحراراً لهم الحق الإنساني في البقاء بأي بقعة أرادوا ...

والدولة القوية تريد أن تستعمر لأنها فقيرة الموارد، شعبها كثير العدد وأرضها ضيقة ، فيجب أن تستسلم لها الدولة الضعيفة ، والدولة الضعيفة كذلك لا يمكنها أن تترك أرضها لغيرها ، وهي ملك لها ، قسمتها لها الطبيعة وحبها بخيراتها ، فآله قسم لها ذلك من قديم الأزل ، ولها كامل الحرية فيما وهبها الله .

٧٧ — الفرد دائماً وإبراً للقوة لا للعوى

نضال بين الحقوق ، وجهاد جنوده الحجج والآراء ، ولكن متى تنتهي الألفاظ؟ والكلام من الكلام ، ومتى تنفذ الحجج والآراء؟ وما هي الأساليب يتمسك به القوى لاستلاب الضعيف ، لا لأنه يريد أن يقنعه أو يشرع عمله ويحقه ، ولكنه يريد أن يسبر مقداره غضب الآخر وقوته .

(١) انظر الفلسفة التشريعية

فإن ثناء بالحجة الدامغة والبرهان الساطع ! والدليل الدافع !! فقد أمن جانبه ، واطمئن على اغتياله، وعرف كل ما في جرابه ، وإن ثناء بالقوة والصفع ، فلاحتكام إلى القوة ، وهى القول الفصل .
إذا فالغلب للأقوى، والفوز للأصلد، هذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

إذاً: فالحق الإنسانى الذى يجب أن يسود هو الحق الذى بجانبه القوة، والحق الطبيعى كما عرفت ماهو إلا القوة نفسها .
إذاً: « فالحق بنوعيه حق ما دامت القوة تؤيده فإذا ما تخلت القوة عنه أصبح باطلا » أى لا قيمة له .

٧٨ — الإسلام : هو القوة والقوة هى الإسلام

لكل ما تقدم تعهد الإسلام القوة فكان :
(١) قوياً فى القول : حتى أن بعض ألفاظ القرآن عندما سمعها بعض الأعراب قبل إسلامه وصفها بأنها « سيل يتحدر من عل » .
(٢) قوياً فى التشريع : فكان منطقياً فى تفكيره داعياً إلى الحرية فلكل أن يركب رأيه .

(٣) قوياً فى حماية الدولة والدين : فشرع الحرب .
(٤) قوياً فى المجتمع : فشرع علائقه الاقتصادية والاجتماعية وياشر تنفيذها إن طوعا وإن كرها .

(٥) قوياً فى الدين : فكان وسيلة لإنهاض المجتمع .

(٦) قوياً في تقدم الإنسانية وتحضر العالم : فأوجب العمل والاختراع والغلب .

(٧) قوياً في السياسة : فشرع النضال والجلاد حتى يبقى الأصلح ، ويحيا النافع .

٧٩ — هل الدين والقوة مجتمعان ؟

ولكن كيف يكون شعار الدين القوة وهو دائماً فكرة السلام ؟؟
نعم !! لأن الإسلام كان منطقياً وطبيعياً في تفكيره « ولا يمكن أن يكون غير ذلك » .

فقد عرف أن المبادئ الإنسانية الثلاثة وهي : العدل والحرية والمساواة .

لا يمكن أن تظلل المجتمع الإنساني إلا إذا مهدت لها القوة . .
كما لا يمكن أن تبقى إلا إذا احتها القوة .

٨٠ — الإسلام : دولة القوة والسلام

كما عرف كذلك أن لاسلام للعالم بدون نضال وحرب ، وأنه لا فوز في حرب بدون إيمان وقوة .

إذاً فلتكن دولة الإسلام هي :

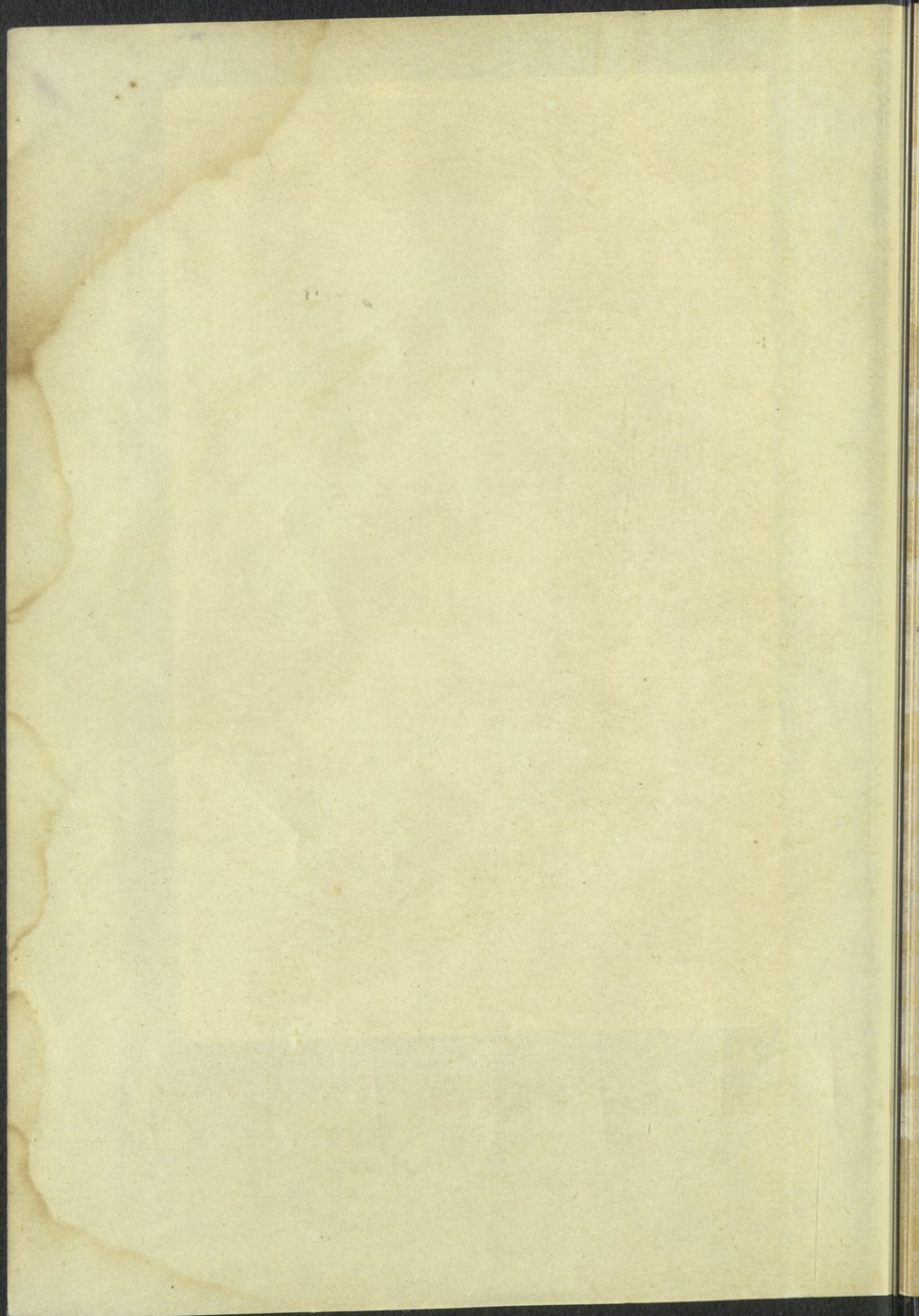
ودولة الحرية القوية

ودولة العدل القوية

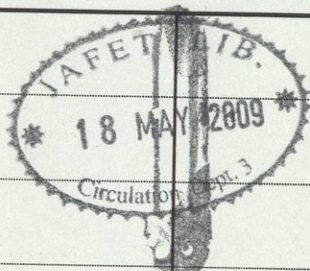
ودولة المساواة القوية

أو : دولة القوة والسلام





DATE DUE



297.617:B16fA:c.1

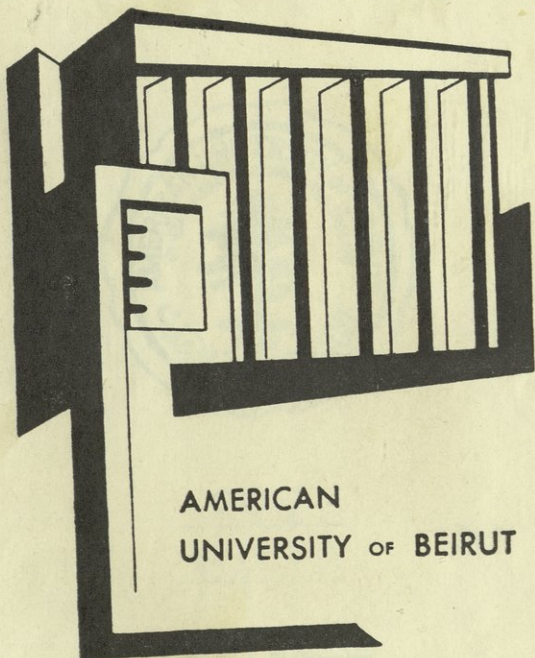
البقرى، عبد الدايم ابو العطا

الفلسفة السياسية للإسلام

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010501



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

297.617

B16fA

C.1.